الفصل الثاني

الهجرة إلى المدينة

المبحث الأول: أسبابها:

أولاً: الابتلاء والاضطهاد:

منذ أن أعلن الرسول ﷺ الدعوة ظل يتعرض لشتى أنواع المضايقات، هو ومن أسلم. وقد ذكرنا ذلك في المباحث السابقة، ولذا كان رسول ﷺ يفكر دائما في طلب الحماية خارج مكة، عندما استعصت عليه مكة. فكانت هجرة الحبشة وهجرة الطائف، وأخيرا هجرة المدينة.

ومما يؤكد أن الابتلاء والاضطهاد كانا سببا من أسباب الهجرة إلى المدينة قول بلال (رضي الله عنه) عندما هاجر: «... اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء[1]...»

وقول عائشة (رضي الله عنها) في سبب هجرة أبيها إلى المدينة: «استأذن النبي ﷺ أبوبكر في الخروج حين اشتد عليه الأذى[2]...»

وكان ذلك هو السبب نفسه في محاولته الهجرة إلى الحبشة من قبل هو وسائر المسلمين كما قالت عائشة (رضي الله عنها): «... فلما ابتلي المسلمون خرج أبوبكر مهاجرا نحو أرض الحبشة[3]...».

وذكر ابن إسحاق[4] أن من أسباب الهجرة تعذيب المسلمين.

---

(١) البخاري/ الفتح (١٨/٢٣٢/ح ١٨٨٩).
(٢) البخاري/ الفتح (١٥/٢٧١/ح ٤٠٩٣).
(٣) البخاري/ الفتح (١٥/٨٤/ح ٣٩٠٥).
(٤) ابن هشام (٢/١٢١) - بدون إسناد. فهو ضعيف.

ثانيا: وجود حماية للدعوة تمكنها من السير في طريقها:

يفهم ذلك من نصوص بيعة العقبة الثانية كما رواها الإمام أحمد عن جابر، وكما رواها غيره[٥]، وفي حديث ابن إسحاق[٦].

ثالثا:

تكذيب كبار زعماء قريش ومعظم عامتهم الرسول ﷺ فأجبروه أن يفكر في قوم آخرين يصدقونه، كما رأينا. وقد عبر سعد بن معاذ عن هذا المعنى في قوله: «اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلى أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك ﷺ وأخرجوه». وفي رواية: «... من قوم كذبوا نبيك وأخرجوه من قريش[٧]».

وذكر ابن إسحاق[٨] من بين ما ذكر من أسباب، أن تكذيب قريش الرسول ﷺ كان من أسباب الهجرة.

رابعا: مخافة الفتنة في الدين:

وذلك واضح من قول عائشة (رضي الله عنها) عندما سئلت عن الهجرة: «كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى والى رسوله مخافة أن يفتن عليه...[٩]».

ومن قول ابن إسحاق[١٠]: «وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم، ونفوهم من بلادهم، فهم من بين مفتون في دينه ومن بين معذب في أيديهم، وبين هارب في البلاد فرارا منهم...».

---

(٥) انظر ذلك في مكانه من «بيعة العقبة الثانية».
(٦) ابن هشام (٢/ ١٢١) - بدون إسناد. فهو ضعيف.
(٧) البخاري/ الفتح (١٥/ ٨٢ - ٨٣/ح ٣٩٠١) - الرواية الأولى من حديث ابن نمير والثانية من حديث أبان بن يزيد - وانظر تعليق ابن حجر على الحديث.
(٨) ابن هشام (٢/ ١٢١) - بدون إسناد. فهو ضعيف.
(٩) البخاري/ الفتح (١٥/ ٨١ - ٨٢/ح ٣٩٠٠).
(١٠) ابن هشام (٢/ ١٢١) - بدون إسناد. فهو ضعيف.

خامسا: الإذن للمسلمين بالقتال:

ذكر ذلك ابن إسحاق[11] وقال إن الآيات ﴿أُذِنَ للذين يُقاتَلون بأنهم ظُلموا..﴾[12] هي أول آيات أنزلت في إذنه له بالحرب لمن بغى عليهم. وتابعه في هذا ابن عباس[13] وآخرون. وفي كل ذلك كان المسلمون يبتغون وجه الله تعالى، ويتحملون في سبيله كل ما يقع عليهم من الإيذاء الحسي والمعنوي ومفارقة الأهل والعشيرة والموطن.

وفي هذا يقول خباب (رضي الله عنه): «هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجه الله فوقع أجرنا على الله...[14]».

وقد أفاضت الأحاديث في فضل الهجرة والمهاجرين[15] لأن الإسلام لا تقوم له قائمة إلا بدولة تحميه، ولا يتصور وجود دولة بدون أرض تقوم عليها ورعية تسمع وتطيع لحاكمها.

روى البخاري[16] عن عائشة أنها قالت: «قال النبي ﷺ للمسلمين بمكة: إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين ـ وهما الحرتان ـ فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة..».

---

(١١) ابن هشام (٢/ ١٢١) ذكره بلاغا عن عروة وغيره من العلماء.

(١٢) الحج: ٣٩ ـ ٤١.

(١٣) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٣٦) أن ابن عباس قال: «كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ فيقول لهم: «اصبروا فإني لم أومر بالقتال» حتى هاجر ﷺ فأنزل الله هذه الآية، وهي أول آية أنزلت في القتال» وروى أحمد قول ابن عباس في أنها أول آية نزلت في القتال ـ انظر: المسند (٢٦٢/ح ١٨٦٥). وصحح شاكر إسناده، وتفسير ابن كثير (٥/ ٤٣٠ ـ ٤٣١).

(١٤) البخاري/ الفتح (٦/ ١٧٢/ح ١٢٧٦).

(١٥) انظر في ذلك مثلا: مسلم (٣/ ١٤٨٨/ح ١٨٦٥) وهو الحديث الذي سأل فيه الأعرابي الرسول ﷺ عن الهجرة، فقال: «ويحك، إن شأن الهجرة شديد»، والبخاري/ الفتح (١٤/ ١٤١/ك. فضائل أصحاب النبي ﷺ/ مناقب المهاجرين وفضائلهم).

(١٦) الفتح (١٥/ ٨٨/ح ٣٩٠٥) وأخرجه أحمد (٦/ ١٩٨) وابن سعد في الطبقات (١/ ٢٢٦) مع اختلاف في بعض الألفاظ وزيادة ونقصان... ويلحظ أن بعض الروايات تسمى ابن مكتوم «عبدالله» وبعضها يسميه «عمرو» ـ انظر الذهبي: السيرة، ص٣١٥، لأن أهل المدينة يقولون اسمه عبدالله وأهل العراق يقولون اسمه عمرو ـ قاله ابن سعد وغيره كما حكاه عنهم ابن حجر في ترجمة عمرو بن أم مكتوم في الإصابة (٢/ ٥٢٣).

أول المهاجرين:

ذكر البخاري[١٧] أن أول من هاجر إلى المدينة مصعب بن عمير وعبدالله بن أم مكتوم. وذكر ابن إسحاق[١٨] وابن سعد[١٩] أن أول من هاجر هو أبوسلمة بن عبدالأسد، وجزم بذلك موسى بن عقبة[٢٠]. وذكر ابن حجر[٢١] أنه يمكن الجمع بين حديث أهل المغازي والسير وحديث البخاري بحمل الأولوية على صفة خاصة، هي أن أبا سلمة خرج لا لقصد الإقامة بالمدينة، بخلاف مصعب، فكان عليه نية الإقامة بها، ليعلم من أسلم من أهلها بأمر النبي ﷺ، فلكل أولوية من جهة.

ما وقع للمسلمين في سبيل الهجرة:

ذكرت أم سلمة (رضي الله عنها) أن زوجها أبا سلمة عندما أراد الهجرة حملها مع ابنه سلمة، فرآه أهلها، فلحقوا به، وقالوا له: «هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتك هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد.»، وانتزعوها منه، وغضب عند ذلك رهط أبي سلمة، فقالوا: لا والله، لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، فتجاذبوا الطفل بينهم حتى خلعوا يده، وذهبوا به، وانطلق أبو سلمة وحده إلى المدينة، فكانت أم سلمة بعد هجرة زوجها وانتزاع ابنها منها - تخرج كل غداة بالأبطح، تبكي حتى تمسي، نحو سنة فرق لها أحد ذويها، فقال لرهطه: ألا تخرجون من هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وولدها، فقالوا لها: إن شئت الحقي بزوجك، فاسترجعت ابنها من آل سلمة، وهاجرت إلى المدينة بصحبة عثمان بن أبي طلحة[٢٢].

وعندما أراد صهيب الهجرة، قال له المشركون: «أتيتنا صعلوكا حقيرا،

---

(١٧) الفتح (١٥/١١٨/ح ٣٩٢٤، ٣٩٢٥).
(١٨) ابن هشام (٢/١٢٢) بدون إسناد، ولكنه ذكر قصة كيفية هجرته بإسناد حسن.
(١٩) الطبقات (١/٢٢٦) بإسناد متصل من رواية الواقدي.
(٢٠) رواه الزهري كما هو عند الذهبي في سيرته، ص ٣١٣، وهو مرسل.
(٢١) الفتح (١٥/١١٩/ح ٣٩٢٥).
(٢٢) رواها ابن إسحاق - ابن هشام (٢/١٢٣ - ١٢٤) وقال المحقق: «تخريج خبر هجرة أبي سلمة: لم أجده عند غير ابن إسحاق...» وإسناده حسن.

فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك»، فقال لهم صهيب: «أرأيتم إن جعلت لكم مالي، أتخلون سبيلي؟» قالوا: «نعم»، قال: «فإني قد جعلت لكم مالي». فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «ربح صهيب[٢٣]..» وفي رواية عنه أنه قال لهم عندما لحقوا به: «هل لكم أن أعطيكم أواقي من ذهب وتخلوا سبيلي؟ ففعلوا، فقلت: احفروا تحت أسكفة الباب فان تحتها الأواقي. وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ قباء، قبل أن يتحول منها، فلما رآني قال: ياأبا يحيى، ربح البيع، ثم تلا هذه الآية ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله...﴾ الآية[٢٤].

ورويت عدة روايات مرسلة في أن آية ﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله...﴾ قد نزلت فيه بمناسبة قصة هجرته. وعلق الطبري[٢٥] على هذه الروايات بعد أن أوردها، فقال في تعليقه: «وأما ما روي من نزول الآية في أمر صهيب، فإن ذلك غير مستنكر، إذ كان غير مدفوع جواز نزول آية من عند الله على رسول الله ﷺ بسبب من الأسباب، والمعني بها كل من شمله ظاهرها. «وقال ابن كثير[٢٦] ـ بعد أن أورد الروايات في هذا الشأن ـ: «وأما الأكثرون فحملوا ذلك على أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل الله...» ولا تعارض بين ما ذكر الطبري وهذا الذي ذكره ابن كثير لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

---

(٢٣) رواه ابن هشام معلقا ـ السيرة (٢/١٣٣)، ووصله الحاكم في المستدرك (٣/٣٨٩) وقال صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي، ووافق الألباني الحاكم في تصحيحه كما في حاشيته على فقه السيرة للغزالي، ص١٦٦، وقال: «وله شاهد من حديث صهيب نفسه، ورواه الطبراني كما في المجمع (٦/٦٠) والبيهقي كما في البداية (٣/١٩١). قلت: وقول الرسول ﷺ له هنا عندما رآه «يا أبا يحيى! ربح البيع».
ـ ورواه أحمد في فضائل الصحابة (٢/٨٢٨/ح ١٥٠٩) مرسلا ورجاله ثقات كما قال المحقق.
ـ ويفهم من مجموع الروايات أن صهيبا هاجر بعدما هاجر الرسول ﷺ، وبذلك جزم ابن حجر في الإصابة (٢/١٩٥/ ترجمة رقم ٤١٠٤) وانظر تفسير ابن كثير (١/٣٦٠).
(٢٤) البقرة: ٢٠٧. والرواية مطولة في المستدرك وصححها الحاكم. انظر المستدرك (٣/٤٠٠)
(٢٥) تفسير الطبري (٤/٢٥٠/ شاكر)، وانظر: زاد المسير (١/٢٢٣) وتفسير ابن كثير (١/٣٦٠).
(٢٦) التفسير (١/٣٦٠).

هجرة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ومن معه من المسلمين:

روى ابن إسحاق[٢٧] عن عمر (رضي الله عنه) أنه قال: «اتعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاصي بن وائل السهمي التَناضُبَ[٢٨] من أَضَاةِ[٢٩] بني غِفَار، فوق سَرِف وقلنا: أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه. فأصبحت أنا وعياش عند التناضب، وحبس عنا هشام، وفتن فافتتن».

وعندما نزلت الآية ﴿قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا، إنه هو الغفور الرحيم. وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون. واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون﴾[٣٠]، كتبها عمر وأرسل بها إلى هشام بن العاصي بمكة، فوجد صعوبة في فهمها، فدعا الله أن يفهمه إياها، فألقى الله في قلبه أنها نزلت في أمثاله، فلحق برسول الله ﷺ بالمدينة[٣١]. وعند ابن عبدالبر انه هاجر بعد الخندق.

وقد ثبت أن الرسول ﷺ كان يقنت في ركوعه داعيا: «اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة.. الحديث[٣٢]»، وفي

---

(٢٧) ابن هشام (٢/ ١٢٩ - ١٣١) بإسناد حسن. وصححه ابن حجر في الإصابة (٣/ ٦٠٤) وهو من رواية ابن السكن بإسناد ابن إسحاق. وهذا الأثر أو الخبر الصحيح في قصة هجرة عمر (رضي الله عنه) يخالف الحديث الضعيف المشهور عند كثير من الناس من أن عمر (رضي الله عنه) أعلن هجرته وقال للمشركين من أراد أن تثكله أمه وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي.. الخبر) وأصل الخبر عند ابن الأثير (أسد الغابة ٤/ ٥٨) وقد خرجه الألباني في دفاع، ص٤٣، وحكم عليه بالضعف.

(٢٨) و (٢٩)قال البلادي: «التَّناضب وأضاة بني غفار، موضع واحد. الأضاة: أرض تمسك الماء فيتكون فيها الطين. والتناضب: شجرات في هذه الأضاة، وهي لا زالت مشاهدة على جانب وادي سرف الشمالي إلى جوار قبر أم المؤمنين ميمونة. وقام بجانبها الغربي حي على بعد ثلاثة عشر كيلا من مكة، نحو الشمال». وانظر محمد شراب: المعالم الأثيرة مادة: التناضب.

(٣٠) الزمر: ٥٣ - ٥٥.

(٣١) هذه الرواية الصحيحة مخالفة لرواية ضعيفة رواها ابن هشام في السيرة (٢/ ١٣١ - ١٣٢) معلقة، تقول إن الوليد بن الوليد قدم مكة مستخفيا بناء على رغبة الرسول ﷺ وتمكن من معرفة مكان حبس عياش وهشام بن العاصي فأطلقهما وحملهما على بعيره إلى المدينة.

(٣٢) البخاري/ الفتح (١٧/ ٨٧ - ٨٨/ح ٤٥٦٠).

رواية بزيادة: «... اللهم انج المستضعفين من المؤمنين[٣٣]...».

وقد أنجا الله هؤلاء الثلاثة وغيرهم.

أما أبوبكر الصديق، فعندما أراد أن يهاجر، استبقاه الرسول ﷺ ليصحبه في هجرته عندما يؤذن له بذلك. وظل يستعد لذلك اليوم، فاشترى راحلتين، وأخذ يعلفهما لمدة أربعة أشهر[٣٤].

وقد روى الحاكم[٣٥] أن الرسول ﷺ قال لجبريل: «من يهاجر معي؟ قال: أبوبكر الصديق».

وتتابعت مواكب المؤمنين إلى دار الهجرة، دار الإسلام، ولم يبق أحد في دار الكفر، دار الحرب، إلا مستضعف مغلوب على أمره، أوصاحب عذر.

وكان آخر من بقي ممن هاجر عبدالله بن جحش (رضي الله عنه). وكان قد كف بصره، فلما أجمع على الهجرة كرهت امرأته ذلك، وجعلت تشير عليه أن يهاجر إلى غير المدينة، فهاجر بأهله وماله سرا، حتى قدم المدينة، وسطا أبوسفيان على داره بمكة فباعها. ومر بها بعد ذلك أبوجهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والعباس بن عبدالمطلب وحويطب بن عبدالعزى، وفيها اهب معطوبة، فذرفت عينا عتبة، وتمثل ببيت من شعر، هو:

وكل دار وإن طالت سلامتها ... يوما سيدركها النكباء والحوب

وأقبل أبوجهل على العباس قائلا: «هذا ما أدخلتم علينا[٣٦]».

وروى هذه القصة ابن إسحاق[٣٧] بنحو رواية الهيثمي، ولكن في روايته أن الكفيف هو عبد بن جحش وكنيته «أبوأحمد» وهو أخو عبدالله بن جحش، وأن زوجته هي الفرعة بنة سفيان بن حرب، وأن أخاه عبدالله حمله

---

(٣٣) البخاري/ الفتح (١٢/٦٥/ح ٢٩٣٢).

(٣٤) انظر: البخاري/ الفتح (١٥/٨٨/ح ٣٩٠٥).

(٣٥) رواه الحاكم عن علي: المستدرك (٣/٥) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد والمتن ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: «صحيح غريب».

(٣٦) ذكره الهيثمي في المجمع (٦/٦٣ - ٦٤) وعزاه إلى الطبراني، وقال: «فيه عبدالله بن شبيب وهو ضعيف».

(٣٧) ابن هشام (٢/١٢٤ ١٢٥) - معلقا. فهو ضعيف.

معه عندما هاجر إلى المدينة مع أهله. ويبدو أن رواية ابن اسحاق هي الأقرب إلى الصواب، فقد ذكرها ابن حجر[٣٨] ولم يذكر غيرها.

وفي هذه القصة وغيرها دليل على أن كثيرا من الدور بمكة قد خلت من أصحابها.

المبحث الثاني: هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة:

أولا: تآمر قريش: عندما علم المشركون بما تم بين الرسول ﷺ والأنصار في العقبة الثانية، وعندما رأوا المسلمين يهاجرون إلى المدينة زرافات ووحدانا، خشوا من تجمع المسلمين بالمدينة وخروج الرسول ﷺ إليهم ليقودهم نحو تحقيق ما يريد. ولذا قرروا التخلص من رأس هذا الكيان الجديد.

ففي يوم الخميس السادس والعشرين من صفر، سنة أربع عشرة من المبعث، الموافق الثاني عشر من أيلول (سبتمبر) عام ستمائة واثنين وعشرين لميلاد عيسى (عليه السلام)[٣٩] أي بعد شهرين ونصف تقريبا من بيعة العقبة الثانية ـ الكبرى[٤٠] ـ، عقد زعماء قريش اجتماعا خطيرا في دار الندوة، ليتشاوروا في أنجع الوسائل للتخلص من الرسول ﷺ.

وقد ذكر القرآن الكريم مضمون الآراء التي طرحت في ذلك الاجتماع. قال تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك[٤١] أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾[٤٢].

---

(٣٨) الإصابة ٤/٣) في ترجمة أبي أحمد بن جحش.

(٣٩) ذكره المباركفوري، ص١٧٦ وقال في الحاشية: «أخذنا هذا التاريخ بعد مراجعة التحقيقات التي سجلها المنصورفوري في كتابه: «رحمة للعالمين» (١/ ٩٥، ٩٧، ١٠٢، (٢/ ٤٧١).

(٤٠) لأن بيعة العقبة الكبرى كانت في حزيران (يونيو)، سنة ٦٢٢م كما ذكر المباركفوري، ص١٦٤. أما مسألة الشهرين والنصف تقريبا فيفهم ذلك من ابن لهيعة، عن أبي الأسود عن عروة ـ انظر: مغازي عروة، ص١٢٨.

(٤١) ليثبتوك: ليسجنوك.

(٤٢) الأنفال: ٣٠.

روى الإمام أحمد بسنده إلى ابن عباس أن هذه الآية نزلت بهذه المناسبة، وذكر القصة (المسند: ٥/ ٨٧) وقال شاكر: «في إسناده نظر، من أجل عثمان الجزري، . . . والحديث نقله ابن كثير في التفسير (٤/ ٤٩) عن هذا الموضع. وهو في مجمع الزوائد (٧/ ٢٧) ونسبه أيضا للطبراني، وقال: «وفيه عثمان بن عمرو الجزري، وثقة ابن حبان، وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح» ونسبه في الدر المنثور (٣/ ١٧٩) أيضا لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن ==

وجاءت الأحاديث والآثار مفصلة ما أجملته هذه الآية. فإضافة إلى ما جاء في رواية ابن عباس عند أحمد في سبب نزول الآية ﴿وإذ يمكر بك﴾ هناك رواية أخرى عن ابن عباس عند ابن إسحاق[٤٣] فيها تفصيل أكثر عن هذه المؤامرة.

ففي هذه الرواية انهم عندما اجتمعوا في دار الندوة للتشاور في أمر رسول الله ﷺ جاءهم إبليس في صورة رجل شيخ، مدعيا أنه من أهل نجد[٤٤]، قال إنه سمع بالذي اجتمعوا له وأراد أن يشاركهم الرأي والنصيحة فأذنوا له...

وعندما دارت المناقشة واقترح أحد المؤتمرين أن يحبسوا الرسول ﷺ، قال الشيخ النجدي: «لا والله، ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب هذا الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم...».

ثم اقترح أحدهم أن ينفوه، فدحض النجدي الاقتراح مبينا أن حسن

==

مردويه وأبي نعيم في الدلائل والخطيب..» قال ابن كثير في البداية (٣/ ١٩٩): «وهذا إسناد حسن، وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار...» وكذلك حسنه ابن حجر في الفتح (١٥/ ٩٠). وذكر كذلك عروة أن الآية نزلت بهذه المناسبة. انظر مغازي عروة، ص١٢٨. وروى البيهقي في الدلائل (٢/ ٤٦٥ - ٤٦٦) من حديث ابن لهيعة ومحمد بن فليح عن أبي الأسود عن عروة أن الآية نزلت بهذه المناسبة.

(٤٣) ابن هشام (٢/ ١٣٦ - ١٣٩)، وصرح فيه بالسماع وسنده منقطع، لأنه لم يسم من حدثه، ووصله الطبري في تاريخه (٢/ ٣٧٠ - ٣٧٢) وبذلك يكون إسناده حسناً. وروى قصة مادار في دار الندوة وإبليس - الشيخ النجدي:
الزهري في مغازيه، ص ١٠٠، وسعيد بن يحيى الأموي، عن أبيه، كما ذكر الذهبي في سيرته، ص٣١٧، وابن سعد (١/ ٢٢٧) من رواية الواقدي.
قال عرجون في كتابه «محمد رسول الله» (٢/ ٤٩٨): «إن قصة إبليس في صورة شيخ نجدي ضرب من الخيال والجنون لأنه لم يثبت في خبر صحيح عن رسول الله ﷺ وكان ما جاء فيه رواية مرسلة عن ابن عباس ولم يثبت لها سند يمكن التثبت به والاعتماد عليه». قلت: جاءت القصة بطريق صحيح عن ابن إسحاق والطبري إضافة إلى أن ابن إسحاق والزهري والواقدي وابن سعد والأموي من أئمة المغازي والسير، واتفقوا على ذكر هذه القصة مما يدل أن لها أصلا، خاصة حديثهم، إذا استثنينا قصة النجدي، ورد مضمونه في أحاديث صحيحة، مثل الأحاديث التي وردت في تفسير الآية: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا...﴾.

(٤٤) يذكر السهيلي في الروض (٢/ ٢٢٩) أنه ادعى ذلك، لأنهم قالوا لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة، لأن هواهم مع محمد.

حديث الرسول ﷺ ومنطقه وأسره القلوب سيجذب الناس إليه ويغلب بهم قريشا. وأخيرا اقترح أبوجهل أن يأخذوا من كل قبيلة فتى شابا نسيبا وسيطا فيهم، ويعطى كل واحد، منهم سيفا صارما، فيضربون جميعا بأسيافهم محمدا ضربة رجل واحد، ليتفرق دمه بين القبائل، ولا يقدر بنوعبد مناف على حرب قومهم جميعا، فيرضوا بالدية.

أيد النجدي هذا الاقتراح، ووافق عليه الجميع، وتفرقوا على ذلك ولم يبق إلا التنفيذ(٤٥).

ثانيا: الإذن بالهجرة، والتخطيط لها ثم الشروع فيها:

بعد اتخاذ هذا القرار، أتى جبريل (عليه السلام) رسول الله ﷺ وأخبره به، وأمره بعدم المبيت على فراشه هذه الليلة، والهجرة.

روى البخاري(٤٦) والطبري(٤٧) من حديث ابن اسحاق انه عندما أذن للرسول ﷺ وأمر بالهجرة جاء متقنعا إلى منزل أبي بكر (رضي الله عنه) في وقت لم يعتد أن يزوره فيه، في نحر الظهر ـ أول النهار ـ وهو أشد ما يكون في حرارة النهار. وعندما أخبر أبوبكر بقدومه، علم أن قدومه في تلك الساعة وبتلك الكيفية، إنما هو لأمر خطير.

وعندما أذن له أبوبكر بالدخول، طلب أن يخرج من عنده حتى لا يعرف

---

(٤٥) لم تحدد الرواية الساعة التي اجتمعوا فيها، هل كانت ليلا أم نهارا، ولم نقف على المدة الزمنية بين اتخاذ قرار القتل وبين الشروع في تنفيذه، وبالتالي لم نقف على رواية تشير إلى المدى الزمني بين مجيء الرسول ﷺ إلى منزل أبي بكر وبين زمن اجتماع قريش وقرار القتل. والذي نرجحه من قرائن الأحوال أن بين الحادثتين فترة زمنية معينة، هي الفترة التي تم فيها اختيار الفتيه المنوط بهم تنفيذ الخطة، وأن هناك فترة زمنية بين مجيء الرسول ﷺ إلى أبي بكر وبين زمان خروجهما إلى الهجرة، إذ أن الخطة التي وضعها الرسول ﷺ مع أبي بكر لإنجاح الهجرة، خاصة الاتفاق مع الدليل، تقتضي زمنا يسيرا.

(٤٦) الفتح (١٥/ ٨٨/ح ٣٩٠٥)، والقصة عند إبن اسحاق بدون إسناد ـ ابن هشام (٢/ ١٤٠) وروى أحمد في المسند (٥/ ٢٥/ شاكر) بإسناد صحيح والحاكم في المستدرك (٣/ ٤) بإسناد صححه ووافقه الذهبي أن أبابكر جاء إلى بيت الرسول ﷺ ووجد عليا ينام على فراشه، وظنه النبي ﷺ فأخبره علي أن النبي ﷺ قد انطلق إلى بئر ميمون، فأدركه وسار معه إلى الغار. ويمكن الجمع بين هذه الرواية ورواية البخاري بأن يكون مجيء النبي ﷺ إلى أبي بكر في نحر الظهيرة من ذلك اليوم الذي حاصر فيه المشركون بيت النبي ﷺ ليلا فمر عليه أبوبكر فلم يجده، وبعدما أخبره علي لحق به في بئر ميمون، ومنها انطلقا إلى الغار ـ قاله د. العودة، ص ٤٠٣.

(٤٧) تاريخه (٢/ ٣٧٧ ـ ٣٧٩) بإسناد حسن.

ما يقول له، وطمأنه أبوبكر بأن من عنده هم أهل الرسول ﷺ، ثم أخبر أبابكر بأن الله قد أذن له بالهجرة. وطلب أبوبكر أن يصحبه، فأكد له ما سبق أن ألمح له به من قبل. وأراد أبوبكر من الرسول ﷺ أن يأخذ إحدى الراحلتين، فوافق الرسول ﷺ، ولكن على أن يدفع ثمنها.

إن قول أبي بكر للرسول ﷺ بأن من عنده هم أهل الرسول ﷺ يريد بذلك عائشة وأسماء (رضي الله عنهما). وهما مسلمتان، وعائشة (رضي الله عنها) قد عقد عليها الرسول ﷺ، فهي زوجته، فلا خوف منهما. وقد صرح بهذا المعنى موسى بن عقبة في روايته، فقال: «أخرج من عندك، قال: لا عين عليك، إنما هما ابنتاي»، وفي روايته عن ابن شهاب، قال: «قالت عائشة: وليس عند أبي بكر إلا أنا وأسماء[٤٨]» ـ وفي رواية ابن إسحاق[٤٩]: «إنما هما ابنتاي».

عند لقاء الرسول ﷺ بأبي بكر أخذا في وضع خطة للهجرة وإبطال كيد الكافرين. وكانت الخطة كالاتي، كما ذكرها البخاري وابن إسحاق:ـ

١ ـ أن يخرجا ليلا إلى غار ثور[٥٠] في الجهة الجنوبية الغربية من مكة، وفي هذا تمويه على الكفار، لأن أنظارهم ستتجه للبحث عن الرسول ﷺ في الجهة الشمالية ـ جهة المدينة.

٢ ـ أن يمكثا في الغار لمدة ثلاثة أيام[٥١] حتى يخف الطلب عنهما.

٣ ـ واستأجرا دليلا ماهرا عارفاً بمسالك طرق الصحراء، ليقودهما إلى المدينة، وهو عبدالله بن أُرْقُد[٥٢] الدِّيْلي، وكان مشركا. واستكتماه الخبر. واتفقا معه على أن يلحق بهما في غار ثور بعد ثلاثة أيام. ودفعا إليه

---

(٤٨) ذكره ابن حجر في الفتح (١٥/٨٨ ـ ٨٩).

(٤٩) ابن هشام (٢/١٤٢) بسند أبهم فيه من حدثه، وبقية الإسناد رجاله ثقات، ووصله الطبري في تاريخه من رواية ابن اسحاق بإسناد حسن ـ تاريخ الطبري (٢/٣٧٨).

(٥٠) البخاري/ الفتح (١٥/٩٠/ح ٣٩٠٥).

(٥١) المصدر والمكان نفسيهما، والطبري في تاريخه (٣/٣٧٨) من رواية ابن اسحاق بإسناد حسن.

(٥٢) كذا في أصل سيرة ابن هشام المخطوط بالأسكوريال (ق ٤٦/ ب) ـ بالدال، وفي المطبوع «أريقط» فلعله تصحف في المطبوع من سيرة ابن هشام ـ قاله الدكتور سليمان العودة، ص ٤٠٧ ـ حاشية. والمشهور عند أهل السير: «أريقط». قلت وفي المطبوع من تاريخ الطبري «أرقد»، فانظره في (٢/٣٨٠) من حديث ابن إسحاق بإسناد حسن. وقال محقق السيرة الشامية (٣/٣٤٦/ الحاشية) إنه في المخطوط «أرقد».

بالراحلتين اللتين اشتراهما أبوبكر، وكان يعلفهما لهذا اليوم[٥٣].

٤ ـ وضعت لهما أسماء زادا ووضعته في جراب، وقطعت من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاق[٥٤]، وفي رواية: ذات النطاقين[٥٥].

٥ ـ وأمر أبوبكر ابنه عبدالله أن يتسمع لهما ما يقوله الناس عنهما في النهار، فيأتيهما به بالليل في الغار، ثم يرجع إلى مكة في السحر ليصبح مع قريش[٥٦].

٦ ـ وأمر مولاه عامر بن فُهَيْرَة أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما في الغار إذا أمسى ليطعما من ألبانها[٥٧]، ويذبحا منها للأكل[٥٨]، ويزيل بها أثار أقدام عبدالله بن أبي بكر[٥٩].

٧ ـ وأمر أسماء أن تاتيهما من الطعام بما يصلحهما في كل مساء[٦٠].

٨ ـ وانطلق رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب فأمره أن يتخلف بعده بمكه ريثما يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، إذ لم يكن أحد من أهل مكة له شيء يخشى عليه إلا استودعه عند رسول الله ﷺ لما يعلمون من صدقه وأمانته[٦١].

٩ ـ وأمره أن ينام على فراشه ويتسجي ببرده الحضرمي الأخضر، الذي ينام فيه، وطمأنه بأنه لن يصل إليه منهم شيء يكرهه[٦٢]، وذلك للتمويه.

---

(٥٣) البخاري/ الفتح (٥١/ ٩٢ ـ ٩٣/ح ٣٩٠٥).

(٥٤) رواه البخاري/ الفتح (١٥/ ٩٠/ح ٣٩٠٥) من حديث عائشة في قصة الهجرة.

(٥٥) المصدر نفسه (١٦/ ١٠٣/ح ٣٩٠٧) من حديث أسماء. ذكر ابن سعد (١/ ٢٢٩) أنها شقت نطاقها فأوكأت بقطعة منه الجراب وشدت فم القربة بالباقي فسميت ذات النطاقين. وهي رواية الواقدي. وذكر ابن إسحاق وابن هشام سبب هذه التسمية (ابن هشام ٢/ ١٤٤) وكلاهما بدون إسناد.

(٥٦) البخاري/ الفتح (١٥/ ٩٢/ح ٣٩٠٥)، وابن إسحاق ـ بدون إسناد ـ ابن هشام (٢/ ١٤٣).

(٥٧) البخاري/ الفتح (١٥/ ٩١ ـ ٩٢/ح ٣٩٠٥)، ابن إسحاق ـ بدون إسناد ـ ابن هشام (٢/ ١٤٣).

(٥٨) (٥٩) (٦٠) ابن إسحاق ـ المصدر والمكان نفساهما.

(٦١) ابن إسحاق ـ بدون إسناد ـ ابن هشام (٢/ ١٤٢)، ووصله الطبري في تاريخه (٢/ ٣٧٨) وإذا اعتبرنا الجملة «فيما بلغني» خاصة بمن أعلمهم الرسول ﷺ فيكون الخبر حسناً.

(٦٢) روى أحمد بإسناد حسن أنه بات على فراش النبي ﷺ تلك الليلة ولم يزد على ذلك: المسند (٥/ ٨٧/ شاكر). وذكر الحاكم في المستدرك (٣/ ٤) أنه بات على فراشه وذكر حوار المشركين معه عندما اكتشفوه وهو ينام على غير الصفة التي كان ينام عليها الرسول ﷺ. وما ذكرناه رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع وهو حسن بالشواهد.

١٠ ـ وأمر أبوبكر عامر بن فُهَيْرَة أن يصحبهما في هجرتهما ليخدمهما ويعينهما في الطريق[٦٣].

لقد أمر الله الرسول ﷺ بهذه الهجرة بعد أن مكث في مكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه[٦٤]. وعندما أمره بالهجرة أنزل عليه قوله تعالى: ﴿وقل رب أدخلني مُدخل صدق وأخرجني مُخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا[٦٥][٦٦]﴾. وكان ما أراده من الله له في هذا الدعاء الموجز المعبر، والذي اختاره له الله ليجعله مفتاحا للطمأنينة.

أما في الجانب الآخر فقد اختار زعماء قريش في ندوتهم أحد عشر زعيما يمثلون قبائل قريش المعادية للإسلام، فقضوا نهار يومهم ذاك في الإعداد لتنفيذ القرار الذي اتخذوه في دار الندوة.

وعلى الرغم من علم الرسول ﷺ بهذا القرار، لم ينس أن يقوم بعمل إيماني بطولي، يعد بمفهومنا المادي اليوم «مغامرة»، بل قال عنه الذهبي «منكر»، أي غير منطقي. وهو أنه ذهب في تلك الليلة مع علي إلى الكعبة، وأمره أن يصعد على منكبه إلى فوق الكعبة، ليرمي صنم قريش الذي كان من نحاس وموتد بأوتاد من حديد. وعندما كان علي يعالج الصنم ليفكه كان الرسول ﷺ يقول: «جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا».

---

(٦٣) البخاري/ الفتح (١٥/٩٣/ح ٣٩٠٥).

(٦٤) البخاري/ الفتح (١٥/٨٣/ح ٣٩٠٢)، وقال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: هذا أصح مما أخرجه أحمد عن يحيى بن سعيد عن هشام بن حسان بهذا الإسناد، قال: «أنزل على النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين، فمكث بمكة عشرا»، وأصح مما أخرجه مسلم من وجه آخر، عن ابن عباس أن إقامة النبي ﷺ بمكة كانت خمس عشرة سنة. وقال ابن كثير في البداية (٣/٢٨٨): «وقد كانت مدة إقامته (عليه السلام) بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة: في أصح الأقوال» وذلك بعد أن ساق الأقوال المختلفة في الموضوع، فانظره لتمام الفائدة.

(٦٥) الإسراء: ٨٠.

(٦٦) رواه أحمد: المسند (٣/٢٩١) وصحح شاكر إسناده، والترمذي: السنن (٨/٢٩١/ك التفسير/ح ٣١٤٨/ط الدعاس) وقال: حديث حسن صحيح، ونقله ابن كثير في التفسير (٥/٢٢٣) عن المسند وأقر تصحيح الترمذي له، والحاكم في المستدرك (٣/٣)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن (٩/؟) بالسند نفسه.
ومن أشهر روايات المفسرين وأصحها ما ورد في تفسير مدخل الصدق ـ بمدخل رسول الله ﷺ إلى المدينة مهاجرا، ومخرج الصدق مخرجه من مكة مهاجرا إلى المدينة. وهو قول الحسن البصري وقتادة، واختاره ابن جرير وتابعه في ذلك ابن كثير. انظر تفسير الطبري (١٥/١٤٨) وتفسير ابن كثير (٥/١٠٨).

وتمكن علي من فكه ورميه وتكسيره، وانطلقا ولم يرهما أحد، ولم يرفع الصنم بعد ذلك[٦٧].

وهذا التصرف عندنا لمن المعجزات الدالة على عناية الله برسوله ﷺ.

فلما كانت عتمة من الليل اجتمع القوم المنوط بهم تنفيذ الخطة، على باب الرسول ﷺ يترقبون نومه، ليثبوا عليه، وكان معهم أبوجهل، ليطمئن على سير الخطة، ويشجعهم على التنفيذ، ومما كان يفعله بهذا الصدد السخرية من محمد ﷺ والتشكيك في دعوته، فتراه يقول لهم: «إن محمداً يزعم أنكم إذا تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها[٦٨]».

وبينما هم على هذه الحالة خرج عليهم رسول الله ﷺ، وقد سمع كلام أبي جهل، فأخذ حفنة من تراب، ثم قال: أنا أقول ذلك، أنت أحدهم، فجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهم لا يرونه، لأن الله قد أخذ على أبصارهم، وهو يتلو الآيات من سورة «يس»: ﴿يس والقرآن الحكيم...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾. وتركهم على هذه الحالة، ثم خرج[٦٩].

وعندما خرج أبوبكر كان يحمل معه كل ماله، وقدره خمسة آلاف أو ستة

---

(٦٧) اخرجه الحاكم في المستدرك من عدة طرق (٢/ ٣٦٦ - ٣٦٧) و٢/ ٥)، وصححه، وقال الذهبي: إسناده نظيف والمتن منكر. وأخرجه أحمد في مسنده وعبدالله في زوائده على المسند، كما في الفتح الرباني (٢٠/ ٢٢٤)، ونقل الساعاتي عن المجمع أنه رواه أحمد وابنه وأبويعلى والبزار. ورجال الجميع ثقات وضعف أبو إسحاق الجويني الأثري إسناده لأن فيه أبامريم الثقفي، وهو عنده مجهول انظر النسائي: خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، بتحقيق أبي إسحاق الأثري، ص١١٣ وله مناقشة مفيدة في تخريجه، فانظرها.

(٦٨) ابن إسحاق بإسناد حسن مرسل، موقوف على محمد بن كعب القرظي (ابن هشام ٢/ ١٣٩).

(٦٩) من رواية ابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٢/ ١٤٣) وفي هذا الخبر أنه خرج متوجها إلى منزل أبي بكر، فتسللا من خوخة - باب خلفي - في دار أبي بكر، وذهبا إلى غار ثور، بأسفل مكة. وهذا مخالف للكيفية التي سبق ذكرها في خروجهما إلى غار ثور، وقد وَفَّقَ الدكتور العودة بين الروايات في هذا الموضوع كما ذكرنا. فانظره في مكانه.

آلاف درهم[٧٠].

وفي طريقهما إلى الغار، وقبل أن تختفي مكة عن الأنظار، نظر إليها الرسول ﷺ بعاطفة مشحونة بالذكريات، تدل على حبه لها لما بها من رموز في حياته. فكيف لا يحبها وقد أحبها الله (عز وجل) وجعل بها بيته المقدس، وفيها أرسله الله إلى العالمين. وقف ينظر إليها وهو يقول: والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك لما خرجت[٧١]».

وقال عنها في رواية أخرى: «ما أطيبك من بلد وأحبك إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك».

أما المتآمرون، فعندما رآهم أحد الناس أمام الباب، سألهم عن سبب وجودهم أمامه، فأخبروه الخبر، فأعلمهم أن النبي ﷺ قد خرج فلم يصدقوه، لأنهم يرون عليا نائما على فراش النبي ﷺ فظنوه محمدا ﷺ. ولم يكتشفوا الحقيقة إلا عندما قام علي من الفراش في الصباح[٧٢].

---

(٧٠) ذكر قصة أخذ ماله وحوار أبيه مع ابنته أسماء في هذا الشأن: الإمام أحمد بإسناد صحيح، وهو إسناد ابن إسحاق نفسه ـ انظر: الفتح الرباني (٢٠/٢٨٢ ـ ٢٨٣)، وابن إسحاق ـ بإسناد حسن ـ ابن هشام (٢/١٥٢)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٥ ـ ٦) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

(٧١) رواه الترمذي، كما في تحفة الأحوذي (١٠/٤٢٦) وقال: «حسن غريب صحيح». وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٥٠/ح ٣٠٨٣) ورواه ابن ماجه ـ انظر: صحيح سنن ابن ماجه للألباني (٢/١٩٦) وصححه، وفيه أن الراوي ـ عبدالله بن عدي ـ قال: «رأيت رسول الله ﷺ وهو على ناقته، واقف بالحَزْوَرَة» ـ موقع قرب مكة ـ أو سوق مكة ـ انظر ابن كثير البداية (٣/٢٢٥ ـ ٢٢٦) يقول: . . . الحديث «وفيه إشكال لأن الرسول ﷺ لم يذهب إلى الغار راكبا ولم يره أحد، لأنه خرج مستخفيا، فكيف يسمعه ابن عدي؟ ولعل هذا القول في مناسبة أخرى، ورواه البيهقي في الدلائل (٢/٥١٨) من حديث عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وفيه الوقوف بالحزورة، قال البيهقي: «وهذا وهم من معمر»، ووهم أيضا من رواه من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة؛ والحاكم في المستدرك (٣/٧)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٧٢) ابن اسحاق بإسناد مرسل. ابن هشام (٢/١٣٩).

وخلاصة القول إن قصة تآمر المشركين على الرسول ﷺ ومبيت علي في فراشه، تتقوى بما يأتي من الشواهد والمتابعات:

أ ـ إن للقصة أصلا في كتاب الله تعالى، في قوله: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا. . .﴾ وذكر المفسرين سبب نزولها هو هذه المناسبة.

ب ـ إنها وردت من عدة طرق يشد بعضها بعضا.

ج ـ شهرتها واستفاضتها عند أئمة السير والمغازي. انظر في ذلك: الدكتور السعود في رسالته: أحاديث الهجرة، غير منشورة، ص ١٣٤ [استدراك: نشرت أثناء طباعة هذا الكتاب].

وعند هذا أخذوا في وضع الخطط للعثور عليه ومن ذلك:

١ ـ إلقاء القبض فورا على علي وضربه وسحبه إلى الكعبة ثم اعتقاله بعضا من الوقت لحين التحقيق معه للوصول إلى معلومات تفيدهم في العثور على الرسول ﷺ. ولكنهم فشلوا معه(٧٣).

٢ ـ جاء نفر منهم إلى منزل أبي بكر (رضي الله عنه) وفيهم أبوجهل، لعلهم يجدونه هناك ويفعلون به مثلما فعلوا بعلي. فخرجت إليهم ابنته أسماء، فسألوها عن والدها، فقالت إنها لا تدري أين هو، فغضب أبوجهل لهذا الجواب، فلطمها لطمة طرح منها قرطها(٧٤).

٣ ـ وضعوا جميع الطرق النافذة من مكة تحت المراقبة الدقيقة.

٤ ـ قرروا منح جائزة مقدارها دية كل من الرسول ﷺ وأبي بكر لمن يعثر عليهما حيين أو ميتين(٧٥).

٥ ـ استأجروا قصاص الآثار، ليتبعوا آثارهما حيثما حلا(٧٦)

الطريق إلى الغار:

روى البيهقي(٧٧) وغيره(٧٨)أنهما عندما انطلقا إلى الغار جعل أبوبكر يمشي

---

(٧٣) قاله المباركفوري في الرحيق المختوم وعزاه إلى المنصورفوري في رحمة العالمين (٩٦/١) ولم نقف على مصدر صاحب الرحمة.

(٧٤) ابن إسحاق ـ بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٢٤٥/٢).

(٧٥) البخاري/ الفتح (٩٣/١٥/ح ٣٩٠٦). وروى ابن إسحاق بإسناد حسن (ابن هشام ١٥٢/٢) والطبري: التاريخ (٣٧٩/٢) ـ أن قريشا جعلت مائة ناقة لمن يرد الرسول ﷺ عليهم. وذكر ابن حجر في الفتح (٩٣/١٥ ـ ٩٤) أن من صرح بأن الدية للواحد مائة ناقة: موسى بن عقبة وصالح ابن كيسان في روايتيهما عن الزهري والطبراني من حديث أسماء بنت أبي بكر. وقال عروة في مغازيه، من رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة، ص ١٢٩: «وبعثوا إلى أهل المياه يأمرونهم ويجعلون لهم الجعل العظيم».

(٧٦) قال ابن حجر في الفتح (٩١/١٥/ شرح الحديث رقم ٣٩٠٥): «وذكر الواقدي أن قريشا بعثوا في أثرهما قائفين: أحدهما كرز بن علقمة، فرأى على فم الغار نسج العنكبوت، فقال: هاهنا انقطع الأثر. ولم يسم الآخر، وسماه أبونعيم في الدلائل (لم أجده في المطبوع): «سراقة ابن جعشم». وقال ابن حجر في الإصابة (٢٩٣/٣): «ذكر أبوسعيد في «شرف المصطفى» أن المشركين كانوا استأجروا كرز بن علقمة لما خرج النبي ﷺ مهاجرا فقفا أثره حتى انتهى إلى غار ثور فرأى نسج العنكبوت على باب الغار فقال: «إلى هنا انتهى أثره ثم لا أدري أخذ يمينا أو شمالا أو صعد الجبل». وذكر سراقة عند أبي نعيم من الغلط الواضح كما سيتضح.

(٧٧) الدلائل: (٤٧٦/٢).

(٧٨) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٦/٣)، وقال: «صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرسال فيه». وذكره ابن حجر في الفتح (٩١/١٥)، وذكر أن البغوي ذكره بنحوه من مرسل ابن أبي

==

ساعة بين يدي الرسول ﷺ وساعة خلفه، وعندما فطن له سأله عن السبب، قال يارسول الله: «أذكر الطلب، فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد فامشي بين يديك»، فقال له الرسول ﷺ: «ياأبابكر لو كان شيء أحببت أن تكون لك دوني؟»، قال: «نعم، والذي بعثك بالحق ما كان لتكون من ملمة إلا أحببت أن تكون لي دونك».

أما الخبر الذي يروى عن عمر وفيه أن رسول الله ﷺ عندما خرج من مكة ليلا ومعه أبوبكر فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفة يحرسه، وعندما حفيت قدما الرسول ﷺ حمله على كاهله إلى فم الغار، وسده أحجار الغار بقدمه، والحيات تلسعه، ودموعه تسيل على الرسول ﷺ .... هذا الخبر قال عنه الذهبي[٧٩]: «وهو منكر، سكت عنه البيهقي[٨٠] وساقه من حديث يحيى بن أبي طالب، أخبرنا عبدالرحمن بن إبراهيم الراسبي..... وآفَتُهُ من هذا الراسبي، فإنه ليس بثقة، مع كونه مجهولا، ذكره الخطيب في تاريخه فغمزه».

وقال ابن كثير[٨١] عن هذا الحديث بعد أن ساقه من رواية البيهقي المشار إليها: «وفي هذا السياق غرابة ونكارة». وزاد الدكتور السعود[٨٢] بعد قول ابن كثير هذا: «نعم، لأنه في سنده فرات بن السائب ـ ضعفه أبوحاتم وأبو زرعة ـ وقال أبوحاتم: «منكر الحديث» وقال البخاري: «تركوه، منكر الحديث»، فهذا الخبر ضعيف منكر».

في الغار:

وعندما انتهيا إلى الغار قال أبوبكر للرسول ﷺ: «مكانك يا رسول الله

==

مليكة. وذكر ابن هشام نحوه بلاغا، وباختصار ـ ابن هشام (٢/١٤٣)، وذكره ابن كثير في البداية (٣/١٩٧) وعزاه للبغوي، وقال: «وهذا مرسل، وقد ذكرنا له شواهد أخرى من سيرة الصديق (رضي الله عنه)».

قلت: فالحديث يتقوى بالشواهد.

(٧٩) السيرة، ص ٣٢١.

(٨٠) الدلائل: (٢/٤٧٧).

(٨١) البداية والنهاية (٣/١٩٨).

(٨٢) رسالة الهجرة، ص ١٦٩.

حتى استبرىء[٨٣] لك الغار»، فدخل فاستبرأه، ثم تذكر أنه لم يستبرىء الجحر الذي فيه، فقال: «مكانك يارسول الله حتى استبرىء»، فدخل فاستبرأ، ثم قال: «انزل يارسول الله»، فنزل الرسول ﷺ إلى الغار[٨٤].

ركبت قريش في كل وجه يطلبون النبي ﷺ. وبعثوا إلى أهل المياه يأمرونهم، ويجعلون لهم الجعل العظيم، وأتوا على جبل ثور الذي فيه الغار، الذي فيه النبي ﷺ، وطلعوا فوقه. وسمع الرسول ﷺ وأبوبكر أصواتهم، فأشفق أبوبكر وأقبل عليه الهم والخوف والحزن، وقال: «يارسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه». فقال النبي ﷺ: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما[٨٥]». وفي هذا نزل قول الله تعالى ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا، ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا[٨٦]﴾.

وحمى الله نبيه في الغار من كل سوء. ومن أدلة حماية الله له ولصاحبه: ما روى أحمد[٨٧] أن قريشا اقتفوا أثرهما، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم، فصعدوا الجبل، فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسج العنكبوت. فقالوا لو دخل ها هنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه. وروي مثله عن الحسن البصري، وزاد فيه أن النبي ﷺ كان يصلي في تلك اللحظات وأبوبكر

---

(٨٣) أي يتأكد من سلامته وخلوه من الآفات الضارة.

(٨٤) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٧٦) بإسناد مرسل، لأنه موقوف على ابن سيرين ـ سبق الكلام عنها. والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٦) وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرسال فيه، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي في تلخيصه على المستدرك.

(٨٥) أخرجه البخاري/ الفتح (١٧/ ٢٠٥/ح ٤٦٦٣)، الفتح (١٥/ ١١٧/ ٣٩٢٢) وفي الحديث: «لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا»، ومسلم (٤/ ١٨٤٣/ح ٢٣٨١)، وأحمد (١/ ١٥٩/ شاكر) وقال شاكر: «إسناده صحيح». ورواه ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة ـ مغازي عروة، ص ١٢٩.

(٨٦) التوبة: ٤٠.
وانظر الآثار الواردة في سبب نزولها عند الطبري في تفسيره (٤/ ٢٥٧ ـ ٢٦٠)، بتحقيق شاكر، والقصة المذكورة هنا عند الشيخين وغيرهما قرنت بسبب نزولها.

(٨٧) المسند (٥/ ٨٧/ شاكر) وقال شاكر: «في إسناده نظر، من أجل عثمان الجزري، وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح، ونسب في الدر المنثور (٣/ ١٧٩) أيضا لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل والخطيب...» وذكر ابن كثير في تاريخه (٣/ ١٩٨ ـ ١٩٩) هذه الرواية، وقال عنها: «وهذا إسناد حسن، وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار، وذلك من حماية الله لرسوله ﷺ». وكذلك حسنه ابن حجر في الفتح (١٥/ ٩٠).

==

يرتقب[٨٨].

وروى الطبراني[٨٩] أن رجلا من المشركين جاء إلى فم الغار، وجلس يتبول مستقبلا رسول الله ﷺ بعورته، فقال أبوبكر: «يارسول الله، إنه يرانا»، فقال: «كلا، إن ملائكة تسترنا بأجنحتها، لو كان يرانا ما فعل هذا».

ومرت أيام الغار بسلام، إلا ما ذكر من أن حجرا أصاب يد رسول الله ﷺ فقال:

«هل أنت إلا أصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيت[٩٠]»

وقد رويت بعض الأخبار الواهية فيما يتعلق بفترة وجود النبي ﷺ وأبي بكر بغار ثور، من أشهرها:

١ ـ ما رواه ابن سعد[٩١] والبزار[٩٢] من أن الله أمر شجرة فنبتت في وجه

==

قلت: ورواية عبدالرزاق في المصنف (٥/ ٣٨٩) منقطعا عن مقسم وقتادة ومرة موصولا عن عائشة. وقال الألباني في حاشية فقه السيرة للغزالي (ص١٧٣) عن تحسين ابن كثير وابن حجر لهذا الحديث: «وفي تحسينه نظر، فإن عثمان الجزري وهو ابن عمرو بن ساج، قال العقيلي: «لا يتابع في حديثه» ولهذا قال الحافظ في التقريب: فيه ضعف، ولا يقويه الشاهد الذي ذكره ابن كثير وابن حجر من رواية الحسن البصري فإنه مع كونه مرسلا ـ فيه بشار الخفاف، وهو ابن موسى، وليس بثقة كما قال ابن معين، والنسائي، وضعفه غيرهما».

قلت: قال البخاري: (منكر الحديث).

ويبدو من تعليق الأرنؤوطيين على الزاد (٣/ ٥٢) أنهما يوافقان ابن كثير وابن حجر في تحسين الحديث، ويذكران أن رجال مرسل البصري ثقات، ولم يشيرا إلى ضعف بشار الخفاف وأقوال العلماء فيه.

(٨٨) وذكره ابن كثير في تاريخ (٣/ ١٩٩)، وعزاه إلى الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي في مسند أبي بكر، وقال عنه: «وهذا مرسل عن الحسن، وهو حسن بحاله من الشاهد وفيه زيادة صلاة النبي ﷺ في الغار.

(٨٩) رواه الهيثمي في المجمع (٦/ ٥٣ ـ ٥٤) وقال عنه: «وفيه يعقوب بن حميد بن كاسب ـ وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه أبوحاتم وغيره وبقية رجاله رجال الصحيح». وذكره الحافظ في الفتح (١٥/ ٩٤) وعزاه إلى الطبراني، ولم يتكلم فيه.

(٩٠) انظره في صحيح مسلم (٣/ ١٤٢١/ح ١٧٩٦)، وانظر تعليق عبدالباقي عليه وسيرة الذهبي، ص٣٢٢.

(٩١) الطبقات (١/ ٢٢٩) من طريق عون بن عمرو القيسي وأبي مصعب المكي...

(٩٢) انظر كشف الأستار (٢/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠) من طريق القيسي أيضا. والقيسي والمكي ضعيفان. قال ابن معين عن القيسي: «لا شيء»، وقال البخاري: «منكر الحديث»، وذكره العقيلي في الضعفاء ـ انظر: ميزان الإعتدال (٣/ ٣٠٦) ولسان الميزان (٤/ ٣٨٨). وقال العقيلي عن المكي: «مجهول» وقال عنه الذهبي: «لايعرف» ـ انظر: الميزان (٣/ ٣٠٦) واللسان (٧/ ١٠٥). وقال ابن كثير في البداية (٣/ ١٩٩): «وقد ورد أن حمامتين عششتا على بابه أيضا ـ الغار ـ وقد نظم ذلك الصرصري في شعره حيث يقول:

==

النبي ﷺ فسترته، وأمر الله العنكبوت فنسجت على وجهه فسترته، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار، وأن فتيان قريش عندما وصلوا إلى قدر أربعين ذراعا من فم الغار، نظر أولهما فرأى الحمامتين، فرجع فقال له أصحابه: «مالك لم تنظر في الغار؟» قال: «رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار، فعرفت أن ليس فيه أحد»، فسمع النبي ﷺ قوله، فعرف أن الله قد درأ عنه بهما فسمت[٩٣] عليهن وفرض جزاءهن وانحدرتا في حرم الله، فأفرخا، وأن نسل حمام الحرم منهما.

٢ ـ روى بعض أهل السير أن أبابكر لما قال للرسول ﷺ: «لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا تحت قدميه» ـ قال النبي ﷺ: «لو جاؤونا من ههنا لذهبنا من هنا» فنظر الصديق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر، وإذ البحر اتصل به، وسفينة مشدودة إلى جانبه[٩٤].

٣ ـ ما روي من أن أبابكر قال لابنه: يابني إن حدث في الناس حدث فأت الغار الذي رأيتني اختبأت فيه أنا ورسول الله ﷺ فكن فيه، فإنه سياتيك فيه رزقك غدوة وعشية[٩٥]».

==

فعمى عليه العنكبوت بنسجه * وظل على الباب الحمام يبيض

والحديث بذلك رواه الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن محمد بن صاعد، ثنا عمرو بن علي، ثنا عون بن عمرو وأبوبكر عمرو القيسي ـ ولقبه عوين ـ حدثني أبو مصعب المكي، قال: «الحديث...».

يقول ابن كثير عن هذا الحديث: وهذا الحديث غريب جدا من هذا الوجه». وقال الألباني عن صاعد هذا في دفاع، ص١٨: «وصاعد مجهول، لا يعرف، ولم يوثقه أحد، بل أشار الحافظ ابن حجر إلى أنه لين الحديث إذا لم يتابع». وانظر الحديث بهذه الأسانيد الضعيفة عند البيهقي في دلائله (٢/ ٤٨١ ـ ٤٨٢) وأبي نعيم في دلائله (٢/ ٣٢٥).

وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ٥١ ـ ٥٣) وقال: «رواه البزار والطبراني، وفيه جماعة لم أعرفهم» وتعقبه محقق كشف الأستار ـ الأعظمي ـ (٢/ ٢٩٩ حاشية) بقوله: «ليس فيه من يجهل إلا أبا مصعب المكي».

وفي هذا الحديث أن القائف كان سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي أي في غير كتابي البيهقي وأبي نعيم (أعني المطبوع).

(٩٣) بارك بالدعاء.

(٩٤) قال ابن كثير في البداية (٣/ ٢٠١): «وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة، ولكن لم يرد ذلك بإسناد قوي ولا ضعيف...». قلت وإلى كلمة «قدميه» ورد بإسناد صحيح كما عند ابن حنبل في الفضائل (١٧٧١/ح ١٧٩).

(٩٥) أخرجه البزار بإسناد فيه موسى بن مطير كما في البداية (٣/ ٢٠١)، وقال عنه ابن كثير: «وموسى ابن مطير هذا ضعيف ومتروك، وكذبه يحيى بن معين فلا يقبل حديثه».

وزاد السمهود (ص ١٦٩): «.... وقال أبوحاتم: متروك الحديث ذاهب الحديث ـ انظر: تاريخ ابن معين (٢/ ٥٩٦) والجرح والتعديل (٨/ ١٦٢).

٤ ـ ما روي من أن رجلا من المشركين جاء حتى استقبل رسول الله ﷺ بعورته يبول، فقال أبوبكر: «يارسول الله: أليس الرجل يرانا؟» قال: «لو رآنا لم يستقبلنا بعورته[٩٦]».

٥ ـ ماروي أن أبابكر عطش في الغار، فقال له رسول الله ﷺ: «اذهب إلى صدر الغار فاشرب»، فانطلق أبوبكر إلى صدر الغار فشرب منه ماء أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأذكى رائحة من المسك، ثم عاد، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله أمر الملك الموكل بأنهار الجنة أن اخرق نهرا من جنة الفردوس إلى صدر الغار لتشرب[٩٧]»

التوجه الى المدينة:

ولما انقطع الطلب عنهما، جاءهما الدليل ـ ابن أرقد ـ بعد ثلاث ليال من بقائهما في الغار ومعه الراحلتان. وكان معهما عامر بن فهيرة. انطلق الأربعة إلى المدينة، عن طريق الساحل[٩٨].

بعد أن اتخذ الرسول ﷺ جميع الأسباب التي في مقدور البشر لينجو من الأعداء، كان مطمئنا، ولسانه رطب بذكر الله، بالدعاء، بينما كان أبوبكر يكثر الالتفات؛ حرصا منه على سلامة الرسول ﷺ[٩٩].

وعندما حانت ساعة المقيل في يومهم ذاك، وخلا الطريق، رفع الله لهم صخرة طويلة لها ظل، لم تأت عليها الشمس، فنزلوا عندها، وسوى أبوبكر بيده مكانا تحتها، وبسط عليها فروة، وطلب من الرسول ﷺ أن ينام، وخرج هو ليراقب المكان، فإذا هو براع مقبل بغنمه إلى الصخرة، يريد منها مثل الذي أرادوا. وتكلم معه أبوبكر ليعرف أمره، فعرف أنه رجل من أهل

---

(٩٦) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٥٤) وقال عنه: «وفيه موسى بن مطير، وهو متروك.

(٩٧) رواه السيوطي في الخصائص (١/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨)، وقال عنه «أخرجه ابن عساكر بسند واه عن ابن عباس».

(٩٨) انظر: البخاري/ الفتح (١٥/ ٩٣/ح ٣٩٠٥) و(١٤: ١٤٢ ـ ١٤٣/ح ٣٦٥٢) وقد ذكر ابن إسحاق المواضع التي مر بها رسول الله ﷺ في هذا الطريق ـ ابن هشام (٢/ ١٥٠ ـ ١٥٦). بدون إسناد.

مكة. ورضي أن يحلب لهم من شاة له. وطلب منه أبوبكر أن ينظف الضرع قبل الحليب، وكره أن يوقظ الرسول ﷺ للشرب، فانتظره حتى استيقظ، فشرب حتى رضي أبوبكر، ثم أمر بالرحيل(١٠٠).

وكان الرسول ﷺ يردف أبابكر معه على راحلته، وكان اذا سأل أحد أبابكر في الطريق عن الرسول ﷺ، يقول: هذا الرجل يهديني السبيل، فيحسب السائل أنه يعني الطريق، وإنما كان يعني سبيل الخير(١٠١).

وروى البخاري(١٠٢) من حديث سُرَاقَة بن مالك أنهم مروا في طريقهم بحي بني مُدْلج(١٠٣)، فرآهم رجل منهم، فجاء إلى مجلس من مجالس قومه وفيهم سراقة بن مالك، فقال: «ياسراقة، إني قد رأيت آنفا أَسْوِدَة بالساحل، أراها محمدا وأصحابه». قال سراقة: «فعرفت أنهم هم: فقلت له إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانا وفلانا، انطلقوا بأعيننا»، ثم لبث في المجلس ساعة، ثم قام فدخل داره، وأمر جاريته أن تخرج بفرسه إلى ما وراء الأكمة، ثم تجهز هو وتسلل إلى مكان فرسه، فركبها وانطلق بها. وعندما دنا من محمد ﷺ وأصحابه، عثرت به فرسه، فنزل عنها وأخرج الأزلام، فاستقسم بها ليعرف: هل يضرهم أم لا؟ فخرج السهم الذي يكره، وهو ألا يضرهم،

---

(٩٩) انظر: البخاري/ الفتح (١٥/ ٩٥/ح ٣٩٠٦).

(١٠٠) انظره بألفاظه في: البخاري/ الفتح (١٥/ ١١٣ - ١١٤/ح ٣٩١٧ - ٣٩١٨)، و (١٤/ ١٤٢ - ١٤٤/ح ٣٦٥٢). وروى بنحوه ابن عبدالبر في الاستيعاب (٣/ ٢٤٠)، وعزاه إلى الطيالسي، وإسناده صحيح، كما ذكر السعود، ص ٢٠٠، وقد رواه الذهبي في سيرته، ص ٣٣٠ - ٣٣١، والحاكم في المستدرك (٣/ ٨) وصححه عن حديث البخاري وأحمد في المسند (١/ ١٥٤ - ١٥٥/ شاكر) وقال: إسناده صحيح. وفيه زيادات.

(١٠١) البخاري/ الفتح (١٥/ ١٠٦ - ١٠٧/ح ٣٩١١)، وابن سعد (١/ ٣٤) بإسناد مرسل وفيه أبومعشر، وهو ضعيف، ومخالف لما في الصحيح، حيث ذكر ركوب النبي ﷺ وراء أبي بكر على ناقته - بإسناد آخر (١/ ٢٣٥) صحيح وهو أيضا فيه مخالفة لما في الصحيح في كيفية ركوب النبي ﷺ، وأحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٩٠) وإسناده صحيح، وقال الساعاتي: ورواه البخاري وابن إسحاق بمعناه.
قلت: وما في الصحيح أصح، فيقدم على غيره.

(١٠٢) الفتح (١٥/ ٩٣ - ٩٦/ح ٣٩٠٦)، ورواه بأتم من هذا: ابن إسحاق - بإسناد حسن - ابن هشام (٢/ ١٥٢ - ١٥٤)، ورواه مسلم (٤/ ٣٠٩، وما بعدها/ح ٢٠٠٩)، وأحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٨٤ - ٢٨٥)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦ - ٧)، وصححه؛ وعبدالرزاق في المصنف (٥/ ٣٩٢ - ٣٩٣).. إلخ.

(١٠٣) كان مقرهم بالقرب من رابغ، وتبعهم سراقة حينما كانوا مصعدين من قديد.

ولكنه عصى فركب فرسه، وانطلق إلى أن وصل مكانا يسمع منه دعاء الرسول ﷺ ساخت يدا فرسه في الأرض حتى بلغتا الركبتين[١٠٤]. فنزل عنها ثم زجرها، فنهضت. وعندما انتزع الفرس يديه من الأرض، تبعهما دخان كالإعصار، فعرف حين رأى ذلك أن رسول الله ﷺ قد منع منه، وأن أمره سيظهر، فاستقسم بالأزلام، فخرج الذي يكره، فناداهم بالأمان، فوقفوا، فركب فرسه حتى جاءهم، ووقع في نفسه حين لقي ما لقي من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فأخبر الرسول ﷺ أن قومه قد جعلوا فيه الدية، وأخبرهم أخبار ما يريد الناس، وعرض عليهم الزاد والمتاع، ولكنهم لم يطلبوا منه شيئا سوى أن الرسول ﷺ طلب منه أن يخفي عنهم. وسأله سراقة أن يكتب له كتاب أمان، فأمر عامر بن فهيرة، فكتب له ما أراد في رقعة من جلد، ثم مضوا.

روى البخاري[١٠٥] بسنده إلى أبي بكر (رضي الله عنه): «ارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا منهم أحد غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت هذا الطلب قد لحقنا يارسول الله، فقال: لاتحزن، إن الله معنا».

وعندما رجع سراقة إلى قومه، جعل يقول لهم: «قد استبرأت لكم الخبر. قد كفيتم ما ههنا[١٠٦]». وهكذا كان أول النهار جاهدا عليهما وآخره حارسا لهما[١٠٧].

وكان كتاب الأمان مع سراقة إلى أن جاء به الرسول ﷺ، عندما فرغ من حنين والطائف، فوفاه له رسول الله ﷺ وقال: «يوم وفاء وبر»، ويومها أسلم سراقة[١٠٨].

---

(١٠٤) في حديث البراء عند البخاري ـ الفتح (١٥/١٠٤/ح ٣٩٠٨) وفي حديث أنس عنده ـ المصدر نفسه، ص١٠٧/ح ٣٩١١، وفي حديث البراء عند مسلم (٣/١٩٢/ح ٢٠٠٩) أن ذلك كان بسبب دعاء النبي ﷺ عليه.

(١٠٥) الفتح (١٤/١٤٤/ح ٣٦٥٢).

(١٠٦) البخاري/ الفتح (١٤/١٢٠/ح ٣٦١٥).

(١٠٧) البخاري/ الفتح (١٥/١٠٧ ـ ١٠٨/ح ٣٩١١).

(١٠٨) ابن إسحاق، بإسناد حسن، ورجاله رجال الصحيح ـ ابن هشام (٢/١٥٤).

روى ابن حجر[١٠٩] وابن عبدالبر[١١٠] وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال لسراقة بن مالك: «كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟» قال: فلما أتي عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه، دعا سراقة بن مالك فألبسه إياهما، وكان سراقة رجلا أزب كثير شعر الساعدين، وقال له: ارفع يديك، فقال: الله أكبر، الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، الذي كان يقول: أنا رب الناس، وألبسهما سراقة بن مالك بن جُعْشُم، أعرابي من بني مدلج، ورفع بها عمر صوته».

وذكر ابن إسحاق[١١١] أبياتا من الشعر يحرض فيها أبوجهل قوم سراقة على سراقة، ورد عليه سراقة أيضا بأبيات من الشعر[١١٢].

ثم مر رسول الله ﷺ وصحبه في مسيره ذلك بخيمتي أم مَعْبَد الخُزَاعِيَّة، فسألوها إن كان عندها طعام، فاعتذرت بالجدب. فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة قرب الخيمة، فسألها عنها، فقالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم، فقال: «هل بها من لبن؟» قالت: هي أجهد من ذلك». فاستأذنها في حلبها، فأذنت له قائلة: «إن رأيت بها حلبا فاحلبها». فمسح رسول الله ﷺ بيده ضرعها، وسمى الله ودعا، فدرت، فدعا بإناء لها، فحلب فيه، فسقاها حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب وحلب فيه ثانيا، حتى ملأ الإناء وتركه لها، ثم ارتحلوا.

وعندما جاء زوجها أبومعبد ورأى اللبن عجب من ذلك، فأخبرته بالذي حدث من محمد ﷺ، فقال: «والله إني لأراه صاحب قريش الذي تطلبه»، وطلب منها أن تصفه له، فوصفته له، وعندما سمع وصفها، قال: «والله

---

(١٠٩) الإصابة (٢/ ١٩) بإسناد رجاله ثقات، لكنه منقطع من طرفيه، فلا يصح.

(١١٠) الاستيعاب (٢/ ١٢٠) بإسناد رجاله ثقات، لكنه منقطع من طرفيه فلا يصح. وانظر رسالة الهجرة، ص ١٨٠ ـ وهو إسناد ابن حجر نفسه.

(١١١) من رواية يونس بن بكير بدون إسناد ـ ذكره البيهقي في دلائله (٢/ ٤٨٩)، وذكر أبيات سراقة ولم يذكر أبيات أبي جهل. وانظر أبيات أبي جهل التي أوردها المحقق لأن البيهقي لم يوردها.

(١١٢) وانظر ابيات سراقة وأبيات أبي جهل في البداية لابن كثير (٣/ ٢٠٤)، وقال: «وذكر هذا الشعر الأموي في مغازيه بسنده عن أبي إسحاق، وقد رواه أبو نعيم بسنده من طريق زياد عن ابن إسحاق، وزاد في شعر أبي جهل أبياتا تتضمن كفرا بليغا» ـ وانظر الدلائل لأبي نعيم (٢/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧) وهو كما قال ابن كثير، وهي من رواية ابن إسحاق ـ بدون إسناد.

هذا صاحب قريش الذي ذكروا من أمره ما ذكروا، لقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إنْ وجدت إلى ذلك سبيلا»، وأصبح صوت بمكة عاليا ـ يسمعونه ولا يرون القائل.

سلوا اختكم عن شاتها وإنائها * فإنكم إن تسألوا الشاء تشهد[113].

ومر الركب في طريقه بعبد يرعى غنما، فطلبوا منه طعاما، فاعتذر لهم بأن لا لبن في شياهه، إلا شاة ـ أو عناقا ـ جف لبنها قريبا، فاستأذنه الرسول ﷺ، فمس ضرعها فحلبت، ورووا منها جميعا، وعندما رأى الراعي ذلك أسلم، وطلب أن يتابع الرسول ﷺ، ولكن الرسول ﷺ طلب منه أن يأتي عندما يسمع بظهوره[114].

ولقوا في طريقهم ركبا من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام، فيهم

---

(١١٣) أخرج قصة الرسول ﷺ وأم معبد، الحاكم في مستدركه (٣/ ٩ ـ ١٠) مطولة من حديث هشام ابن حبيش، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وذكر أمورا يستدل بها على الصحة، ووافقه الذهبي، وقال: «صحيح»، ولكنه نازعه في توافر شرط الصحيح، وفيه أنه عن هشام بن حبيش ابن خويلد، وفيه خطأ من عدة نقاط، لفظ «عن جده حبيش»، وخويلد خطأ، والصواب خالد». ذكر هذه الملاحظة الدكتور عبدالمهدي في محاضراته المطبوعة على الآلة الكاتبة، تحت عنوان: السيرة النبوية من الكتاب والسنة... ص ٥٤.
وقال الأرنؤوطيان في حاشية زاد المعاد (٣/ ٥٧): «حديث حسن ورواها البيهقي في دلائله (٢/ ٤٩١ ـ ٤٩٢) من حديث يحيى بن زكريا، قال ابن كثير في البداية (٣/ ٢١١): « إسناد حسن». وتبعه الدكتور السعود في رسالة الهجرة ـ ص ١٩٨، فقال: «لكنه منقطع لأن عبدالرحمن ابن أبي ليلى لم يدرك أبا بكر...» وأحال إلى جامع التحصيل، ص ٢٧٥ والتهذيب (٦/ ٢٦٠).
ومضمون رواية البيهقي قريب من مضمون رواية هشام بن حبيش ورواها بنحو رواية ابن حبيش بسنده إلى أبي معبد كما ذكر ابن كثير (٣/ ٢١١ ـ ٢١٢) وعزاه إلى البيهقي ١١١ وقال ابن كثير في البداية (٣/ ٢٠٩) عن قصة أم معبد: «وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضا» وساق الروايات المختلفة فيها (٢/ ٢٠٩ ـ ٢١٤). وذكر ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٠٧) طرفا من رواة قصتها، وذكرها الهيثمي في المجمع (٦/ ٥٥ ـ ٥٨) عن حبيش بن خالد، وقال رواه الطبراني وفي اسناده جماعة لم أعرفهم، وذكره في علامات النبوة، باب صفته ﷺ. ورواها ابن سعد في طبقاته مطولة عن أم معبد (١/ ٢٣٠ ـ ٢٣٢)، ورواها البزار مختصرة بإسناد ضعيف: (كشف الاستار (٢/ ٣٠٠ ـ ٣٠١). والخلاصة إن القصة تتقوى إلى درجة الحسن لغيره لكثرة طرقها وشهرتها ـ كما قال الدكتور السعود في رسالة الهجرة، ص ١٩٩. وسيأتي وصف ام معبد للرسول.

(١١٤) أخرج هذه القصة الحاكم في المستدرك (٣/ ٨/) من حديث قيس بن النعمان، وصححها ورواها السيوطي في الخصائص (١/ ٣١٢) وعزاها إلى أبي نعيم وأبي ليلى والطبراني والحاكم والبيهقي ونقل ابن كثير في البداية (٣/ ٢١٣) هذه القصة عن البيهقي، وقال: «رواه أبويعلى الموصلي. وقال ابن كثير في البداية (٣/ ٢١٣) معلقا على هذه القصص الخاصة بمعجزات الشياه: «يحتمل أن هذه القصص كلها واحدة». قلت: ويحتمل التعدد، وهو ما نميل إليه.

الزبير، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر بثياب بيض[١١٥].

وعندما وصلوا العرج، احتاجوا للاستفسار عن الطريق، فدلهم أحد القاطنين على الطريق وبين لهم أن الطريق القريب عليه لصان من قبيلة أسلم، يقال لهما «المهانان»، ولم يبال الرسول ﷺ بهما، وعندما لقيهما عرض عليهما الإسلام، فأسلما، وسماهما «المكرمان»، وطلب منهما القدوم عليه في المدينة[١١٦].

وروى البزار[١١٧] وابن الأثير[١١٨] بسنديهما إلى بريدة بن الحصيب الأسلمي، أن رسول الله ﷺ لما اقبل في مهاجره لقي ركبا، فقال: «ياأبابكر: سل القوم فممن هم؟» قالوا: من أسلم، قال: «سلمت يا أبابكر، سلهم من أي أسلم؟» قالوا: من بني سهم، قال: «ارم بسهمك ياأبابكر».

وروي أنهم عندما وصلوا الجحفة وجدوا إبلا، فقال رسول الله ﷺ: «لمن هذه الإبل؟» فقالوا: «لرجل من أسلم». فتفاءل ﷺ: وقال لأبي بكر: «سلمت إن شاء الله»، وسأل الراعي عن اسمه، فقال: «مسعود»، فتفاءل ﷺ وقال لأبي بكر: «سعدت إن شاء الله[١١٩]».

وقيل إن إحدي راحلتيهما تخلفت عنهما، فعندما جاء صاحب الإبل، وهو أوس بن عبدالرحمن بن عبدالله بن حجر الأسلمي، فأعطاهما فحلاً، وطلب

---

(١١٥) رواه البخاري/ الفتح (١٥/ ٩٧/ ح ٣٩٠٦) ولابن حجر مناقشة للجمع بين ما ذكره أهل السير والبخاري في هذه القصة، وخلاصته أن الخبر أخرجه موسى بن عقبة عن الزهري وزاد فيه قوله: «ويقال لما دنا من المدينة كان طلحة قدم من الشام فخرج عائدا إلى مكة إما متلقيا وإما معتمرا ومعه ثياب أهداها أبابكر من ثياب الشام فلما لقيه أعطاه فلبس منها هو وأبوبكر - وهذا إن كان محفوظا احتمل أن يكون كل من طلحة، والزبير أهدى لهما من الثياب...» انظر بقية أقوال أهل السير عند ابن حجر: الفتح (١٥/ ٩٧).

(١١٦) أخرج القصة عبدالله بن الإمام أحمد في زوائده على المسند (٤/ ٧٤) - وانظر: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٨٨) وسكت الساعاتي عن إسناده. وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ٥٨) وقال: «رواه عبدالله بن أحمد، وابن سعد اسمه عبدالله ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات».

(١١٧) كشف الأستار (٢/ ٣٠١ - ٣٠٢)، قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٥٥): «رواه البزار وفيه عبدالعزيز ابن عمران الزهري وهو متروك».

(١١٨) أسد الغابة (١/ ٢٠٩)، طبعة دار الفكر، وإسناده منقطع.

(١١٩) الى هنا رواه ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٢٠٩) من رواية أبي نعيم، ولم يتكلم عنه. قلت: انظر المعرفة لأبي نعيم (٢/ ل ١٨٢/ أ) وفي إسناده محمد بن عباد بن موسى العكلي، وفيه ضعف، وموسى بن عباد وإياس بن مالك لم يترجم لهما أحد، فالخبر ضعيف.

من غلامه مسعود أن يصحبهم إلى المكان الذي يريدونه، فوصل معهم إلى قباء[١٢٠].

وروي أن أوسا بن عبدالله بن حجر الأسلمي مر برسول الله ﷺ ومعه أبوبكر «بحدوات»، بين الجحفة وهرشى، وهما على جمل واحد متوجهين إلى المدينة، فحملهما على فحل إبله «ابن الرداء»، وبعث معهما غلامه مسعود، وطلب منه أن يسلك بهما حيث يعلم من الطريق، ولا يفارقهما حتى يقضيا حاجتهما منه، . . . فأوصلهما المدينة ثم عاد، و قد حمله وصية إلى سيده، وهي أن يسم إبله على أعناقها[١٢١].

ولقي ركب الهجرة عند الغميم بريدة بن الحصيب الأسلمي ـ زعيم قومه حينذاك ـ وكان قد خرج في طلب النبي ﷺ وأبي بكر، أملا في الفوز بالجائزة المعلنة من قبل قريش. وعندما التقى برسول الله ﷺ، وحدثه الرسول ﷺ في أمر الإسلام، أسلم وأسلم معه زهاء ثمانين بيتا من قومه، وقيل سبعين[١٢٢]. وبات بريدة مع الرسول ﷺ، وفي الصباح قال بريدة: «يارسول

---

(١٢٠) إن مضمون هذا الخبر في الاستيعاب (١/ ٨٢). وقد حسن ابن عبدالبر إسناده.

(١٢١) رواه ابن هشام في زياداته على سيرة ابن إسحاق، وبدون إسناد. انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ١٥٦). ورواه ابن حجر في الإصابة (١/ ٨٦) ترجمة أوس بن عبدالله، وذكر أن الطبراني قد رواه، وكذلك قال: «رواه أبوالعباس بن السراج في تاريخه، مرسلا. . .» ثم قال: قال ابن عبد البر (الدرر، ص ٩١): «مخرج حديثه عن ولده، وهو حديث حسن». قلت: ولحسين ابن عبدالبر له بناء على اختياره قبول الحديث المرسل، لكن جمهور المحدثين على رده، ولهم شروط في قبوله مثل حالات الاعتضاد والمتابعات والشواهد. والتفريق بين مرسل فلان ومرسل علان. . . إلخ الكلام الطويل في هذا الأمر. انظر في هذا: كتب أحكام المراسيل، وكتب مصطلح الحديث. والخبر في الاستيعاب (١/ ٨٢). وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ٥٥) وقال: رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم. وذكر ابن حجر (١٥/ ١٠٧) أنه أخرجه أبوسعيد في «شرف المصطفى» من طرق إياس بن مالك بن الأوس الأسلمي، ووصله ابن السكن والطبراني عن إياس عن أبيه عن جده أوس بن عبدالله بن حجر فذكر نحوه مطولا. . .» وقال ابن حجر في الإصابة (٣/ ٣٣٨ ـ ترجمة مالك بن أوس): «وفي مغازي موسى بن عقبة عن الزهري أن الرجل الذي مروا به هو مالك بن أوس. وأن اسم الفحل «ابن اللقاح» واسم الغلام «مغيث») وذكر أن مالك بن أوس وأباه أوسا من الصحابة وقال ابن عبدالبر في الاستيعاب (٣/ ٣٨٢): «له صحبة فيما ذكر بعضهم، وفيه نظر».

قلت: وفي إسناد ابن حجر فيفي بن وثيق، قال عنه ابن معين: «كذاب خبيث انظر: ديوان الضعفاء للذهبي، ص ٢٥٠، وقد حسن بعضهم حال فيفي هذا.

(١٢٢) روى خبر لقاء رسول الله ﷺ ببريدة وإسلامه مع جماعة من قومه:

أ ـ الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٣٤٦):

ب ـ وابن سعد (٤/ ٢٤٢) من رواية الواقدي ـ وعنده أن الذين أسلموا معه زهاء ثمانين بيتا

==

الله: لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء». فحل عمامته ثم شدها في رمح ثم مشى بين يديه حتى دخل المدينة(١٢٣).

الوصول إلى المدينة:

روى البخاري(١٢٤) وابن إسحاق(١٢٥) والحاكم(١٢٦) وغيرهم أنه عندما بلغ الأنصار مخرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجرا إلى المدينة، كانوا يخرجون كل يوم إلى الحرة ينتظرونه أول النهار، فاذا اشتد الحر رجعوا إلى منازلهم. فلما كان يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة أربع عشرة من المبعث ـ وهي السنة الأولى من الهجرة ـ الموافق الثالث والعشرين من أيلول (سبتمبر) سنة اثنتين وعشرين وستمائه من الميلاد(١٢٧) خرجوا على عادتهم، فلما حمي الحر رجعوا. وصعد رجل من اليهود على أطم من آطام المدينة لبعض شأنه،

==

من قومه، وصلوا مع رسول الله ﷺ العشاء وأن مكان اللقاء هو الغميم، وعلمه الرسول ﷺ صدرا من سورة مريم في تلك الليلة.

ج ـ والذهبي: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦٩)، وفي السيرة النبوية، ص ٣٣٠ بإسناد فيه أوس بن عبدالله بن بريدة وهو متروك، ووثقه ابن حبان، وقال إن المناكير من طريق أخيه سهيل. وابن حبان متساهل في التعديل. وفيه أنه أسلم معه سبعون من قومه. وقد حكى ابن الأثير في أسد الغابة (١/ ٢٠٩) القولين، بإسنادين: الأول معلق والثاني منقطع. وفي الأول أنهم كانوا نحو ثمانين بيتا، وفي الثاني أنهم كانوا سبعين راكبا.

د ـ وابن حجر في الإصابة (١/ ١٤٦) بدون إسناد، من حديث ابن السكن، وفيه أنه أقام بموضعه حتى مضت بدر وأحد، ثم قدم بعد ذلك، وقيل أسلم بعد منصرف النبي ﷺ من بدر...

هـ ـ ابن عبدالبر في الاستيعاب (١/ ١٧٣ ـ ١٧٤) بدون إسناد، بنحو رواية ابن سعد.

(١٢٣) أورد هذه الجزئية من قصة بريدة في الهجرة الديار بكري: تاريخ الخميس (١/ ٢٣٥)، وهي عنده من رواية ابن الجوزي في كتابه شرف المصطفى، من طريق البيهقي موصولا إلى بريدة. وانظر الزرقاني: شرح المواهب اللدنية (١/ ٤٢١).

(١٢٤) الفتح (١٥/ ٩٧ ـ ٩٩/ح ٢٩٠٦) و (١٥/ ١١٩/ح ٣٩٢٥).

(١٢٥) بإسناد حسن ـ انظر: ابن هشام (٢/ ١٥٦ ـ ١٥٧).

(١٢٦) المستدرك (٣/ ١١) وصححه ووافقه الذهبي وأشار الذهبي إلى أنه في الصحيحين.

(١٢٧) انظر: الرحيق المختوم، ص ص ١٩٠ ـ ١٩١ نقله عن «رحمة للعالمين» (١/ ١٠٢)، وقال في الحاشية: «وفي هذا اليوم تم عمره ﷺ ثلاثة وخمسين عاما كاملا. وتم على نبوته ثلاثة عشر عاما كاملا عند من يقول إنه أكرم بالنبوة في التاسع من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل، وأما من يقول إنه أكرم بها في رمضان سنة إحدى وأربعين من عام الفيل فعنده يتم على نبوته في ذلك اليوم ـ اثنا عشر عاما وخمسة أشهر وثمانية عشر يوما أو اثنان وعشرون يوما». وانظر: مناقشة ابن حجر الفتح (١٥/ ٩٨) لجميع الآراء في تاريخ نزوله ﷺ قباء. والمشهور من رواية ابن إسحاق أنه ١٢ ربيع الاول ـ ابن هشام (٢/ ١٥٦).

فرأى رسول الله ﷺ وأصحابه، فصرخ بأعلى صوته: «يامعشر العرب[١٢٨]، هذا جدكم الذي تنتظرون»، فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، وسمعت الرجة والتكبيرة في بني عمرو بن عوف، وكبر المسلمون فرحا بقدومه وخرجوا للقائه، فتلقوه وحيوه بتحية النبوة. وكان مَنْ لم ير الرسول ﷺ من قبل يحيي أبابكر ظنا منهم أنه الرسول ﷺ. وعندما اشتد الحر، قام أبوبكر فأظل النبي بردائه، فعرفوا الرسول ﷺ[١٢٩] فأحدقوا به مطيفين حوله، والسكينة تغشاه والوحي ينزل عليه: ﴿فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾[١٣٠]، وصاح النساء والخدام والغلمان: جاء محمد، جاء رسول الله، الله أكبر، جاء محمد[١٣١]. وأنشد المستقبلون:

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع[١٣٢]

---

(١٢٨) عند ابن إسحاق: «يابني قيلة» - يعني الأنصار، وهو اسم جدة لهم - ابن هشام (٢/١٥٧).
(١٢٩) الى هنا تنتهي رواية البخاري.
(١٣٠) التحريم: ٤.
(١٣١) انظر في هذه الجزئية: المستدرك (٣/١٣) وقال الحاكم: «وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». وأشار الذهبي إلى أنه في الصحيحين.
(١٣٢) لقد وقف بعض العلماء عند هذا النشيد، وناقشوه من حيث السند والمتن، لوجود إشكال في روايته، إذ وردت فيه كلمة «ثنيات الوداع» التي اشتهر أنها من جهة الشام وليس من جهة مكة. قال ابن حجر في الفتح (١٥/١٢٠) وأخرج أبوسعيد في شرف المصطفى، ورويناه في فوائد الخلعي.. منقطعا: «لما دخل النبي ﷺ المدينة جعل الولائد يقلن:
طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع، وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع.
وهو سند معضل ولعل ذلك كان في قدومه من تبوك». ورواه البيهقي في الدلائل (٢/٥٠٦ - ٥٠٧) بإسناد ضعيف جدا لإعضاله، فإن بين ابن عائشة وبين النبي ﷺ مفاوز، إذ توفي سنة ٢٢٨هـ وقد قبل المباركفوري ترجيح المنصورفوري (رحمة للعالمين ١/١٠٦) في ورود هذا النشيد عند مقدمه إلى المدينة من مكة، على أساس أن له أدلة لا يمكن ردها. ولا يوافق ابن القيم في الزاد (٣/٥١١) على قول من قال بأن ذلك كان حين مقدمه من مكة إلى المدينة.
أما عرجون في كتابه (محمد رسول الله) ﷺ (٢/٦٠٢) فقد ذكر أن النشيد المشهور في المواهب اللدنية وأن القسطلاني قال في المواهب - بعد سياقه حديث أنس: «وصعدت ذوات الخدور على الأجاجير - أي الأسطحة - عند قدومه ﷺ يقلن: طلع البدر...» وحديث أنس من رواية أبي داود. ويرى عرجون صحة نسبة النشيد إلى حادثة قدومه إلى داخل المدينة - دار أبي أيوب، ويوفق بين الروايات ويناقشها ولا يستبعد تكرار إنشاد النشيد في زمن عودته من تبوك. فليراجع عرجون (٢/٦٠٢ - ٦١١). ونحن نميل مع عرجون إلى تعدد إنشاد النشيد وإلى أن ثنيات الوداع ليست إلى جهة الشام فقط، انظر مناقشة أبي تراب الظاهري لهذه المسألة في: «الأثر المقتفى لقصة هجرة المصطفى»، (ص ص ١٥٥ - ١٦٢).

ثم سار حتى نزل قباء في بني عمرو بن عوف ـ من الأوس ـ على كلثوم ابن الهدم، لمدة أربع عشرة ليلة، فيها أسس مسجد قباء، وهو أول مسجد أسس بعد الهجرة.

وبعد ذلك ركب رسول الله ﷺ بأمر الله، وأبوبكر ردفه، وأرسل إلى بني النجار ـ أخواله ـ فجاؤوا متقلدين سيوفهم، فسار نحو المدينة، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فجمع بهم في المسجد الذي في بطن الوادي، وكانوا مائة رجل(١٣٣). وكانت أول جمعة داخل المدينة(١٣٤).

دخل رسول الله ﷺ المدينة بعد الجمعة، في جو مشحون بالفرح والبهجة والسرور(١٣٥). وكان لا يمر بدار من دور الأنصار إلا أخذوا خطام راحلته قائلين: هلم إلى العدد والعدة والسلام والمنعة، فكان يقول لهم: خلوا سبيلها فإنها مأمورة، فلم تزل تسير به حتى وصلت إلى موضع المسجد النبوي اليوم، فبركت فلم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلا، ثم التفتت ورجعت وبركت في موضعها الأول، فنزل عنها وذلك في بني النجار، أمام دار أبي أيوب الأنصاري. وبادر أبو أيوب إلى الرحل فأدخله بيته، فجعل

---

(١٣٣) رواه ابن سعد (٢/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧) بإسناد متصل ورجاله ثقات، وابن إسحاق معلقا: ابن هشام (٢/ ١٥٩).

(١٣٤) إذا اعتبرنا رواية ابن إسحاق في قدومه ﷺ المدينة ونزوله بقباء والدخول إلى المدينة وبناء المسجد والإقامة في دار أبي ايوب، بسند واحد، كما فهم البيهقي في دلائله (٢/ ٥١٢)، فنقول: «رواه ابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٢/ ١٥٩)». ورواه عنه البيهقي في دلائله (٢/ ٥١٢)، ولم يصرح فيه ابن اسحاق بالسماع.

(١٣٥) ذكر ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٢٠) أن جواريَ من بني النجار خرجن يضربن الدفوف ـ عندما حل بديارهم ـ وهن يقلن:

نحن جوارٍ من بني النجّار *** ياحبذا محمد من جار

وعزاه إلى الحاكم من طريق إسحاق بن أبي طلحة عن أنس. وذكره ابن كثير في البداية (٣/ ٢١٩) من رواية البيهقي بسنده إلى أنس (٢/ ٥٠٨) وزاد فيه بعد هذا الرجز: «فخرج إليهم رسول الله ﷺ فقال: أتحبونني؟ فقالوا: أي والله يارسول الله، فقال ـ ثلاثا ـ: وأنا والله أحبكم». وقال ابن كثير: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، لم يروه أحد من أصحاب السنن وقد خرجه الحاكم في مستدركه كما يروى». وقال الألباني في «دفاع»، ص٢٤ عن إسناده: «... وعلته ابن صرمة...» واخرجه البيهقي في دلائله (٢/ ٥٠٨) من طريق آخر إلى أنس وفيه أنهن قلن ذلك عندما مر الرسول ﷺ بحي بني النجار وأنه قال لهن: «الله يعلم أن قلبي يحبكن «ولم يذكر فيه أنه كان عند قدومه إلى المدينة، وصحح الألباني إسناده في (دفاع)، ص٢٤، ثم قال: «بل في البخاري ومسلم وغيره من طريق ثالثة عن أنس أن ذلك كان في عرس ولكنه لم يذكر الرجز».

رسول الله ﷺ يقول: «المرء مع رحله»، وأخذ أسعد بن زرارة الراحلة[١٣٦].

نزل رسول الله ﷺ في القسم الأسفل من دار أبي أيوب، وأبو أيوب في القسم العلوي. فانتبه أبو أيوب ذات ليلة، فقال: «نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ!» فتنحوا إلى جانب. وفي الصباح طلب من الرسول ﷺ الانتقال إلى القسم العلوي، فقال النبي ﷺ: «السفل أرفق» ولكن أبا أيوب قال: «لا أعلو سقيفة أنت تحتها». فتحول الرسول ﷺ إلى القسم العلوي، ونزل أبو أيوب إلى القسم السفلي.

وكان أبو أيوب يصنع للنبي ﷺ طعاما. فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه، فيتتبع موضع أصابعه. فصنع له طعاما فيه ثوم. فلما رد إليه سأل موضع أصابع النبي ﷺ فقيل له: لم يأكل. ففزع وصعد إليه، فقال: «أحرام هو؟» فقال النبي ﷺ: «لا، ولكني أكرهه» قال: «فإني أكره ما تكره، . . .»؛ وذلك لأن الرسول ﷺ كانت تأتيه الملائكة[١٣٧].

وعندما انكسرت جرة ماء أبي أيوب ذات يوم، عندما كان بالعلوي، نشف هو وأم أيوب ماءها بقطيفتهما الوحيدة التي يلتحفان بها؛ تخوفا من أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء فيؤذيه[١٣٨].

وروي أن أبا أيوب سأل الرسول ﷺ أن ينتقل إلى القسم العلوي من داره، بسبب هذه الحادثة، فاستجاب الرسول ﷺ لطلبه[١٣٩]. وروى

---

(١٣٦) خبر قدوم الرسول ﷺ المدينة وقوله: «دعوها فإنها مأمورة». رواه ابن سعد (١/ ٢٣٦ - ٢٣٧) بسند متصل رجاله ثقات - ماعدا الواقدي. ورواه ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٢/ ١٥٩). وقول الرسول ﷺ، «المرء مع رحله»، جاء في رواية البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٠٩) بإسناد فيه عطاف بن خالد وفيه ضعف، قال عنه ابن حجر «صدوق يهم» وصديق بن موسى لم يذكروا أنه يروي عن عبدالله بن الزبير، فيخشى أن لا يكون أدركه، ومع ذلك قال عنه الذهبي في الميزان: «ليس بالحجة».
قلت: ولكن يقوي هذا الحديث ورود القصة عموما بإسناد حسن عند ابن إسحاق.

(١٣٧) رواه مسلم (٣/ ١٦٢٣ - ١٦٢٤/ح ٢٠٥٣ وغيره).

(١٣٨) روى ذلك ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٢/ ١٦٤) والحاكم (٣/ ٤٦٠) وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي في تلخيصه.

(١٣٩) أخرج ذلك ابن حجر في الإصابة (١/ ٤١٥) وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن أبي عاصم من طريق أبي الخير عن أبي رهم عن أبي أيوب.

مسلم[١٤٠] وأحمد[١٤١] أن سبب الانتقال هو كراهية أبي أيوب وأم أيوب أن يمشيا فوق رأس رسول الله ﷺ. وما في الصحيح أصح. وكانت مدة إقامته ﷺ في دار أبي ايوب شهرا واحدا[١٤٢] على الأرجح.

وما كانت تمر ليلة إلا على باب رسول الله ﷺ الثلاثة والأربعة من الصحابة الأنصار، يتناوبون في حمل طعامهم إلى رسول الله ﷺ، حتى تحول من منزل أبي أيوب إلى داره[١٤٣].

ونزل أبوبكر (رضي الله عنه) على حبيب ويقال خبيب بن يساف، بالسنح، ويقال نزل على خارجة بن زيد[١٤٤].

الأحكام والدروس المستفادة من أحداث الهجرة إلى المدينة:

١ - أوضح الرسول ﷺ في خطبة له أيام فتح مكة. أن لا هجرة بعد فتح مكة ولكن جهاد ونية[١٤٥]، فلم تعد الهجرة من مكة إلى المدينة واجبا، وإن بقي حكمها من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام واجبا إلى يوم القيامة[١٤٦]. فقد شرعت الهجرة إلى المدينة ليعبد المسلمون ربهم بأمان

---

(١٤٠) مسلم (٣/ ١٦٢٣/ح ٢٠٥٣).

(١٤١) أحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٩٣).

(١٤٢) جاء ذلك في حديث من رواية أبي أيوب عند الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٦١) وسكت عنه الحاكم والذهبي. قلت: والخبر بهذا الإسناد موضوع لأن فيه عبدالله بن زحر وعلي بن يزيد والقاسم أباعبدالرحمن. قال ابن حبان في ترجمة عبدالله بن زحر: «يروي الموضوعات عن الأثبات، وإذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطامات، وإذا اجتمع في إسناد خبر عبدالله وعلي بن يزيد والقاسم وأبو عبدالرحمن لم يكن ذلك الخبر إلا مما عملته أيديهم» وعلى الرغم من هذا فالخبر أقرب إلى المعقول من غيره، ويؤيد هذا ما رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٠٩) من أن الرسول ﷺ أقام في العريش الذي كان يصلي فيه ابن زرارة مع جماعة من المسلمين قبل مجيء الرسول ﷺ، اثنتي عشرة ليلة حتى بنى المسجد. وإسناد البيهقي ضعيف لأن فيه صديق - ليس بحجة، وعطاف - صدوق يهم، وشيخ البيهقي لم أقف على ترجمته. فإذا ضم إلى هذه الفترة فترة بناء حجر زوجات الرسول ﷺ فيكون الجميع نحو شهر. وذكر ابن حجر في التهذيب (٩١١٣) أن الرسول ﷺ أقام في منزل أبي أيوب شهرا قبل بناء مسجده. ذكر ابن سعد (١/ ٢٣٧) بإسناد متصل ورجاله ثقات - ماعدا الواقدي، أن إقامته كانت سبعة شهور وذكره ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٠١ و١٠٩) عن ابن سعد، ولم يعترض عليه، وذكره ابن كثير في البداية (٣/ ٢٢١ و ٢٣٥) وقال: «قال غيره أقل من شهر، والله أعلم.

(١٤٣) من رواية ابن سعد المذكورة (١/ ٢٣٣)، وقد ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٢٢٢).

(١٤٤) قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٦٣): «رواه الطبراني ورجاله ثقات» ورواه ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٢/ ١٥٧)، وهو جزء من حديث ابن إسحاق في انتظار أهل المدينة قدوم الرسول ﷺ إليهم مهاجرا.

(١٤٥) البخاري/ الفتح (١١/ ٣٠٣/ح ٢٨٢٥)، مسلم (٣/ ٤٨٧/ح ١٣٥٣.

(١٤٦) ابن حجر: الفتح (١٥/ ٨٢) و (١١/ ٣٠٤)، وانظر أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٨٧٦).

ويقيموا كيان الدولة الإسلامية ويحموه، ثم يوسعوا رقعة هذه الدولة بالدعوة إلى الله؛ والهجرة بعد فتح مكة؛ لم تعد ضرورة؛ لأن كيان الإسلام قد قوي وصارت للمسلمين دولة، فأصبح وجود المسلمين في ديارهم أجدى لإقامة شعائر الإسلام ونشر تعاليمه في سائر الأرجاء، أما الجهاد فماض إلى يوم القيامة. ولذلك بايع النبي ﷺ المسلمين بعد الفتح على الإسلام والإيمان والجهاد، ولم يبايعهم على الهجرة[١٤٧]. وقد بين ابن عمر (رضي الله عنه) ذلك بقوله: «انقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول الله ﷺ، ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار»، أي ما دام في الدنيا دار كفر، فالهجرة واجبة على من أسلم وخشي أن يفتن في دينه[١٤٨].

ويستدل في ذلك بقوله تعالى: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، قالوا فيم كنتم؟ قالوا: كنا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا﴾[١٤٩].

وهكذا اقتضت ظروف قيام الدولة الإسلامية في المدينة، وحاجتها إلى جنود يحمونها أن تكون الهجرة إلى المدينة واجبة على كل مسلم قادر. قال الخطابي: كانت الهجرة إلى المدينة إلى حضرته للقتال معه وتعلم شرائع الدين، وقد أكد الله تعالى هذا الأمر في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر، فقال تعالى: ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من وَلَايتهم من شيء حتى يهاجروا[١٥٠]﴾[١٥١] فلما

---

(١٤٧) البخاري/ الفتح (١٦/١٣٧/ح ٤٣٠٥ - ٤٣١٢).
(١٤٨) ابن حجر/ الفتح (١٥/٨٢/ك. المغازي).
(١٤٩) النساء: ٩٧ - ٩٨، انظر: الفتح: (١١/٣٠٣).
(١٥٠) الأنفال: ٧٢.
(١٥١) انظر: تفسير الآية عند الطبري (١٤/٧٨ - ٨٧/ شاكر) وقال الطبري في تفسير «من ولايتهم» يعني من نصرتهم وميراثهم.

فتحت مكـة، ودخل الناس في الإسلام من جميع القبائل، سقطت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب[١٥٢].

وفي ضوء هذا يمكن القول بأنه إذا كان أي بلد من بلاد الكفر أعون للمسلم على ممارسة دينه والدعوة إليه، فهو أجدر بالإقامة فيه إذا تيسر سبيل ذلك للمسلم، ولا تجب عليه الهجرة، لأن هذه البلاد أصبحت مثل دار الإسلام، فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يترجى من دخول غيره في الإسلام[١٥٣].

٢ ـ استخدم الرسول ﷺ كل الأسباب والوسائل المادية التي يهتدي إليها العقـل البشري في مثل هذا العمل. وليس ذلك بسبب خوف على نفسه، أو شكّ في إمكان وقوعه في قبضة المشركين؛ وإنما هذا تشريع للأمة ليتأسى الناس به، فيأخذوا بالأسباب في كل أعمالهم، وأن سنة الله أن السبب إذا وجد معه المسبب ما لم يبطل الله ذلك كما فعل في جعل النار بردا وسلاما على إبراهيم (عليه السلام) فعندها تكون هذه معجـزة للنبي وإن كانت لغيره فهي كرامة للصالحين واستدراج للطالحين من الناس، والدليل على ذلك انه بعدما استنفد الأسباب المادية كلها كان مطمئنا، وصاحبه أبوبكر كان خائفا، وكان من مقتضى اعتماده على تلك الاحتياطات أن يشعر بشيء من الخوف والجزع.

لقد كان كل ما فعله من الاحتياطات إذاً، وظيفة تشريعية قام بها، فلما انتهى من أدائها، عاد قلبه مرتبطا بالله (عز وجل)، معتمدا على حمايته وتوفيقه، ليعلم المسلمون أن الاعتماد في كل أمر لا ينبغي أن يكـون إلا على الله (عـز وجل)، وأن ذلك لا ينافي اتخاذ الأسباب والتدبير للوصول إلى الأهداف[١٥٤].

٣ ـ إن قبول علي بن أبي طالب النوم على فراش الرسول ﷺ ليلة الهجرة

---

(١٥٢) انظر ابن حجر: الفتح (١٥/٨٢).
(١٥٣) انظر ابن حجر: الفتح (١٥/٨٢).
(١٥٤) انظر البوطي: فقه السيرة، ص ١٤٥.

منقبة عظيمة لعلي، دلت على إيمانه وشجاعته. وهذا يدل على جواز خداع العدو والتمويه عليه عملا بأسباب النجاة.

٤ ـ إن الدور الذي قام به الشباب في تنفيذ خطة الرسول ﷺ للهجرة، مثل دور علي وأبناء أبي بكر، يعد دورا نموذجيا رائدا لشباب الإسلام.

٥ ـ إن المعجزات التي أجراها الله تعالى لحماية نبيه ﷺ في هذه الرحلة، جاءت كما جاء غيرها، كضرب من ضروب التكريم للرسول ﷺ وإشارة إلى أن الله ناصره وممكن لدينه في أرضه، طال الزمن أم قصر.

٦ ـ إن الدور الذي قام به أبوبكر (رضي الله عنه) في الهجرة يعد منقبة كبرى له، ويكفيه تكريما أن يذكر في القرآن بمناسبة هذا الدور، ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا. . .﴾.

٧ ـ إذا تأملنا في قصة تبرك أبي أيوب الأنصاري وزوجه بآثار الرسول ﷺ، وإقرار الرسول ﷺ لذلك، تبين لنا مشروعية التماس البركة من آثار النبي ﷺ، إن وجدت(١٥٥).

٨ ـ دل تصرف أبي أيوب وأم أيوب على مدى محبة الصحابة (رضي الله عنهم) للرسول ﷺ، وهي صورة متكررة في كل مقطع من مقاطع هذه السيرة.

٩ ـ إن في إعراض الرسول ﷺ عن أكل الثوم النيء دل على أن ذلك من خصوصياته (عليه السلام)، وقد أحله للمسلمين بشرط ألا يأكلوه ثم يرتادوا المساجد قبل أن تزول رائحته، وقد وجه الرسول ﷺ إلى أن من يريد أكل الثوم فليمته طبخا(١٥٦).

---

(١٥٥) انظر في هذا الألباني: التوسل ـ أنواعه وأحكامه، تنسيق محمد عيد العباسي ط ٢، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص ص ١٤٢ ـ ١٤٧.

(١٥٦) مسلم (١/٣٩٦/ح ٥٦٧)، ورواه غير مسلم.